ركض مسرع ًا إلى عربة السيدات في مترو الأنفاق، قبل أن ينغلق الباب دخل العربة وانغلق الباب، ربما لو كان تأخر ثانية لكان الآن في وضع آخر، تنهد في راحة وتنفس الصعداء، ووضع حقيبة كبيرة كان يحملها على الأرض ثم أخذ بعض الأشياء منها وبدأ يضعها في حجور الركاب بالترتيب، وهو يقول:
- أي حاجة بسعر الجملة مرايات، اكسسوارت، توك شعر، ميكياجات

ابتاعت منه واحدة ربطة شعر وسألته الأخرى عن سعر قلم كحل، ولم تشتر لملم أشياءه من الجميع في عجالة ووضعهم في الحقيبة كما كانوا، ووقف عند باب النزول لم يلبث دقيقة حتى جاءت المحطة التي تليها نزل وركب العربة الأ خرى وعاد تلك الكرة إلى نهاية اليوم، كان أحيانا يدخل عربة يبيع كثيرا، وأ حيانا يبيع أشياء بسيطة وأحيانا لا يبيع شيئا.

*****

بعد منتصف الليل جلس أحمد علي سريره يعد نقوده التي جمعها اليوم، ويجرد ما كسبه وما سيبتاع به بضاعة غدا في بكور اليوم. أخذ عشرة جنيهات وضعهم في جيبه الأيسر لمصاريف يومه وأخذ عشرون جنيها وضعها علي السرير، وأخذ عشرين آخرين ووضعها في مظروف في درج الكومودينو، وأدخل النقود الباقية في جيبه الأيمن تلك النقود التي سيبتاع بها البضاعة غدا، أخذ العشرون جنيه وذهب لحجرة أبيه وأمه ووضع العشرين جنيه فوق الكومودينو، شعرت أ مه بحركته ففتحت عينيها وقالت بصوت ناعس:
- اتأخرت كده ليه يا أحمد

قال أحمد بصوت منخفض:

- قعدت مع صحابي شوية على القهوة

- حد من اخواتك صاحي
- لا كلهم نايمين

- طب أقوم أجيبلك تاكل

- لا ياماما خليكي أنا هاجيب لنفسي

تنحنحت عزيزة أمه وقالت:
- أبوك محتاج علاج النهاردة كان تعبان أوي عشان بقاله فترة في علاج ليه خلصان

ألقى أحمد نظرة أسى على والده المريض النائم جوار أمه ذي الجسد النحيل القابع تحت الغطاء، ولا يتبين منه سوى وجهه البارز منه عظمتا خديه المهلك من شدة المرض وقال:

- وماقولتوليش ليه ياماما إن في علاج ناقص

- مابنحبش نتعبك يابني كفاية مصاريف البيت

قال أحمد بلوم:
- تعب ايه يا ماما أومال أنا بشتغل عشان مين مش عشانكم واستطرد عايزه فلوس قد إيه للعلاج
- 150

رجع حجرته اخرج من المظروف مئتي جنيه ذلك المظروف الذي يدخر فيه المال لعلاج أبيه وللظروف الطارئة وعاد إلى أمه أعطاها المال وقال:

- دول 200 جنيه جيبي له زيادة عشان ماينقصش ويتعب
وأشار لها على العشرين جنيها ً الموضوعة فوق الكومودينو وقال:

- ومعلش سيبتلك عشرين جنيه بس لمصروف البيت عشان النهاردة الشغل كان ضعيف

قالت عزيزة:
- ربنا يقويك يابني ويفتحلك أبواب الرزق ويرزقك من وسع ويبعد عنك ولاد الحرام.

ابتسم أحمد وقبل يد أمه وغادر الحجرة وأغلق الباب خلفه، كان عليه أن يذهب إلى المطبخ كي يحضر طعاما له، فقادته قدماه إلى حجرته فقد ذهبت شهيته، ارتمى على سريره ونام سريعا ً ولم يفكر كثيرا ً، لا لأنه ليس لديه هموم أو أحلام يفكر بها ولكن مشقة يوم كامل كافية لتجعله ينام حينما يضع رأسه على وسادته.

*****

أراحت جسدها على الرف الذي بجوارها، ونظرت في ساعتها ثم زمت شفتيها في ضيق، وأخرجت هاتفها نظرت في ساعته رأتها الرابعة والنصف مساء، كان بقي على انتهاء العمل نصف ساعة.

مر حسين زميلها في العمل من جوراها، وكان حاملا على ذراعيه كراسات حتى رقبته فقال:
- أيوه احنا نتعب وانتوا تأنتخوا ياريتني بنت

ضحكت رحمة وقالت:
- بطل حقد بقى يابني واسترجل شوية
- ماشي ماشي

كانت رحمة تعمل في مكتبة أدوات مدرسية وورق طباعة وأدوات رسم وكل مايخص تلك المجالات، تبيع جملة ومفرق في منطقة الفجالة بالقاهرة.

دلفت طالبة وقفت معها رحمة حتى ابتاعت عدة أدوات، وجاءت الساعة الخامسة كان مجدي وهبة صاحب تلك المكتبة واقف على البنك الخاص بـ المكتبة يعد ورقات المال ويلفهم بأستك مطاط ويدون عليهم مبلغهم، ذهبت رحمة إليه وقالت:
- يا أستاذ مجدي الساعة ٥أنا همشي بقى

رمقها مجدي من خلف النظارة، وهو يعد وانتظر حتى انتهى من عد الرزمة التي في يده وقال:
- اتفضلي

تنحنحت رحمة في حرج وقالت:
- النهاردة آخر الشهر

فهم مجدي ماتقصد وقال:
- اه القبض معلش مخدتش بالي

ابتسمت رحمة مجاملة وقالت:
- ولا يهمك

أخرج مجدي رزمة من المال وعد ثماني مئة جنيها وأعطاهم لها، أخذت ورقات المال وخرجت من المكتبة ونزلت في مترو الأنفاق محطة الشهداء، قطعت تذكرة ووقفت على رصيف اتجاه حلوان.

جاء المترو وصعدت بعناء فهذه المحطة أكثر المحطات ازدحاما لموقعها في وسط القاهرة.

وقفت وسط الزحام لم تستأ فقد تعودت على ذلك، حتى جاء المترو في محطة الزهراء وبدأ الزحام يقل رويدا رويدا، وخلا مقعد بجوارها وعلى الفور جلست عليه.

*****

دخل أحمد تلك العربة في محطة دار السلام، وكما يفعل دائما يضع الحقيبة وسط العربة ويمر علي الركاب يضع بعض من حجياته في حجورهم وينادي ند اءه:
- أي حاجة بسعر الجملة مرايات، اكسسوارت، توك شعر، ميكياجات.

وضع في حجر رحمة مجموعة أمشاط، أمسكتها رحمة وجهزتها في يدها لكي تعطيها له فمحطة نزولها قد اقتربت، حتى جاء عندها أعطتها له ثم بعد قليل تذكرت شيئا، فنادت عليه وقالت:
- بسبس يا كابتن

فنبهته امرأة كان بجوارها يستعد للنزول في المحطة القادمة، وقالت له:
- كلم يابني واحدة بتنادي عليك

نظر أحمد تجاه إشارتها وذهب إلى رحمة قالت له:
- معاك ساعات!

- اه معايا

- معاك النوع اللي طالع جديد ده المشغول وفيه ألوان كتير

- اه معايا كل حاجة هفرجك

وأخرج من الحقيبة الساعات التي معه

اختارت رحمة ساعة وقالت:

- بكام دي

- ب٢٥

فأخرجت رحمة مرتبها وكان أربع ورقات، الورقة مئتي جنيه، أعطته مئتي جنيه، فعقد أحمد حاجبيه وقال:
- ماعكيش فكة؟

زمت رحمه شفتيها وقالت:
- لا للأسف

سأل أحمد الركاب إن كان أحد معه فكة مئتي جنيه فلم يتلق ردا، لم يكن أحد معه أو بالأحرى لا أحد يريد أن يشغل نفسه فقالت رحمة:
- أنا هنزل المحطة الجاية

قال أحمد:
- وأنا كان المفروض انزل المحطة اللي فاتت

جائت محطة المعادي فنزلت رحمة ونزل معها

وقفا على الرصيف، فسأل أحمد أحد المارة عن فكة مئتي جنيه ولم يجد معه، فقالت رحمة:
- هنفك منين

قال أحمد يائسًا:
- خلاص هطلع معاكي بره المحطة نفك وادخل تاني وخلاص

خرج معها وصرف مئتي جنيه من أحد المحلات

فأعطاها مئة وسبعين جنيها، وبقي لها خمسة الجنيهات لم تكن فكة مئتي الجنيه تحتوي على خمسات فأصغر فئة كانت عشرة جنيهات فقال أحمد:
- ماعطانيش فيها خمسات .. وانا مش معايا تاخدي حاجة بالخمسة

قالت رحمة:

- انت بتبقى في المترو كل يوم!

قال أحمد باستغراب:
- اه ليه

- خلاص ابقى اخد الخمسة لو شوفتك انا ببقى في محطة الشهداء على ٥ وعشرة كده مثلا
عقد أحمد حاجبيه وقال:

- وأنا هلاقيكي ازاي لا استني نفك

قالت رحمة باستعجال:
- مش مشكلة بقى اصلي متأخرة

قال أحمد:
- طب خدي أي حاجة بيها

غادرت رحمة وهي تقول:
- مش لازم.. مش لازم
رفع أحمد حاجبيه، وقلب شفته السفلى في تعجب وعاد إلى المترو مرة ثانية.

*****

دلفت رحمة منزلها ألقت التحية على أمها وشقيقتها الصغرى ودلفت حجرتها بدلت ملابسها وأدت فريضة المغرب واستلقت على سريرها ونامت ثلاث ساعات. وكان قد عاد أخوها حازم ثم أبوها من العمل، وقامت صفاء والدتها تجهز لهم طعام العشاء وأيقظت رحمة لتناول العشاء، وأثناء تناولهم الطعام ق الت صفاء موجهه حديثها لرحمة:
- قبضتي

قالت رحمة:
- اه الفلوس جوه وابقي سيبيلي ٣٠٠جنيه مصاريف

كانت صفاء تأخذ من مرتب رحمة وتبتاع لها أشياء لتجهيزها كأطباق وأطقم حلل ومفروشات وهكذا، فقال شاهين أبوها:

- ماتسيبيلها الفلوس اللي بتشتغل بيها تصرفها أنا أبوها ياصفاء وأنا اللي هجهزها.. أنا لما سمعت كلامك ووافقت انها تشتغل مش عشان تجهز نفسها، وافقت بس عشان قاعدة البيت وحشة وهتخنقها

قالت رحمة:
- يا بابا أنا وأنت واحد وأنا مش هحتاج باقي الفلوس في حاجة ال ٣٠٠ هيكفوني طول الشهر. واتبعت وهي تأكل:
- ربنا يخليك ليا ياحبيبي يارب

قال شاهين:
- ماتكلنيش بس في الكلام خلي فلوسك لنفسك وأنا ربنا يقدرني وأجيبلك اللي انتي عايزاه

قالت صفاء:
- ماتتحمقش أوي كده أنت معاك بنت تانية لسه عايزالها بلاوي وابنك عايزله شقة وعفش وشبكة وموال هو التاني

احنا لو اعتمدنا على قبضك بس مش هنجهز العيال في خمسين سنة

عدل حازم نظارته الطبية وصمت ولم يعقب.

اقتنع شاهين بذلك الكلام نوعا ما، وقال مستسلما:
- ياساتر عليك ِ خلاص اعملوا اللي تعملوه الحق عليا

*****

استلقى أحمد على سريره يفكر كيف يعطي للفتاة التي ابتاعت منه الساعة خمس الجنيهات، ثم راوغه فكره ماذا لو كان غنيـ ًا مثل تلك الفتاة، لم تعبأ بـ خمس الجنيهات، وهو من الممكن أن يقضي مصروف يومه بخمس الجنيهات فقط، وكان مبلغ من المال معها في يوم ومن الممكن أن يجمعه هو في شهر، كان ذلك فكره وهو لم يعرف أي شيء عن حياتها. فدائما الإنسان ينظر إلى الأ شياء من منظوره هو دون أن يعلم ماخلفها من تفاصيل أدت إلى ذلك.

*****

قامت رحمة باكرا لتذهب إلى عملها كانت معتادة أن تستيقظ قبل خروجها من بيتها بنصف ساعة فقط، تفعل كل شيء في عجالة وتنزل إلى العمل حتى أنها كانت لا تفطر في منزلها كانت تبتاع أي شيء كشطيرة أو قرص ومعها شيبسي أو أي رقائق من المقرمشات وتأكل في المترو أو في المكتبة، ركبت المترو ونزلت في محطتها ودخلت المكتبة وجدت حسين جالسا، وليس لديه عمل، أ لقت عليه التحية وعلقت في رقبتها الشريط الذي فيه البطاقة التي تحمل اسمها وقالت لحسين:
- تقى لسه ماجتش!
- لا لسه

جلست رحمة قبالته وقالت:
- في جديد في موضوع منى

- مش عارف بس حاسس بتطور

- ايه اللي حصل

- وهي بتقدملي الشاي امبارح قالتلي ازيك

قطبت رحمة جبينها وعوجت شفتاها وقالت:
- عشان قالتلك ازيك حاسس بتطور أنت أهبل يابني ما أنت ابن عمها طبيعي انها تقولك ازيك يعني

قال حسين:

- لا ماهو قبل كده ماكنش فيه ازيك
- أومال كان في ايه!

- كنت أنا اللي بقولها ازيك وهي تقولي الحمدلله

جزت رحمة على أسنانها وقالت:
- صبرني يااارب ما أنت ماكنتش بتديها فرصه تسألك أصلا. واستطردت قائلة:
- يابني اتلحلح شوية أنت بتقول كان متقدملها عريس الاسبوع اللي فات

قال حسين بضيق:

- طب اعمل ايه؟

قالت رحمة:
- عرفها ما أنت لسانك هنا مترين.. وأردفت مداعبة:
- أنت بتتكسف يا ولا.
قالت ذلك وضحكت، فقلد ضحكتها بسخرية وقال:
- هيهيهي ايه الغلاسة دي.
واتبع حسين بجدية:
- يابنتي مش حكاية مكسوف بس دي بنت عمي يعني هخون ثقة عمي ومرات عمي واخواتها فاهمة, ماينفعش طبعا أقولها.

حسين ورحمة تربطهم صداقه قوية ليس غير ذلك. علاقة لا يشوبها أي شيء آ خر وكان حسين يبوح لها بكل أسراره وهي كذلك.

أثناء جلوسهم سمعا مجدي يعنف تقى على تأخيرها المتكرر وقال بصرامة:
- المرة الجاية لو اتأخرتي ماتجيش.

تجمعت عبرات تقى وذهبت من أمامه واتجهت إلى رحمة فأخذتها رحمة بين ذراعيها وقالت:
- خلاص يا تقى بقى معلش ماتبقيش تتأخري تاني

قالت تقى باكية:

- والله بطلع بدري بس المواصلات اللي بتأخرني الاتوبيس - ساعات بيجي متأخر ومابلحقش مكان واصلا مابيبقاش في شغل الصبح بذمتكم عملتوا حاجة من ساعة ماجيتوا !

ظل حسين ورحمة يواسيا فيها إلى أن هدأت

*****

كانت الساعة الخامسة والخمس دقائق وأحمد في محطة منشية الصدر، ظل يدعو أن يصل الشهداء قبل الخامسة وعشر دقائق لكي يبحث عن صاحبة خمس الجنيهات ويعطيها لها، فبرغم فقره لا يقبل على نفسه ولو قرشا واحدا حراما، جاءت محطة غمرة كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق، نظر في ساعة

هاتفه مستاءاً وفقد الأمل في ملاقاتها اليوم، ولكن وصل محطة الشهداء ووقف عدة دقائق لعلها تكون تأخرت في هذا اليوم ويجدها حتى يئس ودخل العربة التي استقرت أمامه ووضع حقيبته وأخرج بعض حاجيته ونادى نداءه.

*****

- تعالي أوريكي الحاجات اللي جبتهالك في الجهاز.

قالتها صفاء لرحمة بعد العشاء، رأت رحمة الأشياء التي جلبتها لها أمها بجزء من مرتبها، أعجبوها كثيرا وقالت لصفاء:

- الشهر الجاي بقى جبيلي صواني تيفال

- إن شاء الله

*****

مرت أيام وكان أحمد يوميـ ًا يقف في محطة الشهداء في الموعد الذي قالته رحمة حتى أن رحمة تناست أمر تلك الخمس جنيهات لأنها من الأساس هي من تعمدت أن تتركها له، كانت عندها عادة تفعلها كل قبض لها، أن تخرج مبلغا ولو بسيطا لوجه الله. أحمد لا يبدو عليه الفقر بالعكس هو شاب وسيم وجسده رياضي وملابسه أنيقة ونظيفة، فكان أحمد يحافظ على مظهره، ولكن هي رأت أن لا حاجة تقود شابا كذلك لهذه المهنة إلا الفقر فتركتها له بنفس راضية، حتى جاء يوم ورآها أحمد في هذا الموعد، وهي متجهة نحو العربة، صعد معها بسرعة وقال لها:

- أخيرا دوختيني عليك ـِ ياشيخة أنا كل يوم باجي ٥وعشرة ومابلاقيكيش

استغربت رحمة أنه متذكر ذلك الموعد ومهتم أن يعطيها الجنيهات الخمس

فقالت:

- أنت لسه فاكر والله لو أعرف إني هغلبك كده كنت خدت أي حاجة بيها وخلا ص

أخرج أحمد الجنيهات الخمس وقال:

- طب خدي اهي

قالت رحمة:

- لا هاخد حاجة بيها

رأت ما على الحقيبة من فوق واختارت أي شيء وعندما توقف المترو في المحطة التالية رآه ضابط، فدخل العربة أمسك أحمد من ياقته وقال:
- راكب عربية السيدات ليه يالا

حاول أحمد أن يفلت نفسه منه وهو يقول:
- انا ببيع مش راكب أعاكس

استفز الضابط ذلك الرد فصفعه على وجهه فكيف لبائع أن يرد على ضابط متغطرس كهذا، فشهقت رحمة وقال الضابط بصوت مرتفع:
- ما البيع هنا ممنوع احنا مش في سوق يا روح امك وهيتعملك محضر تسول وهتدفع غرامة عشان راكب في عربية السيدات.

وعندما استقرت العربة في المحطة التالية أخذ الضابط أحمد ونزل فنزلت رحمة وراءه ذهبت للضابط وقالت بجرأة:
- على فكرة هو ما أجرمش مش كفاية مش موفرين ليه شغل كمان بتحاربوه في أكل عيشه، عايزينه يسرق هو ده اللي هيرضيكوا مثلا ,, وفروله الوظيفة وحياة كريمة وبعدين ابقوا حاسبوه
واسترسلت في الحديث:
- يعني خلاص طبقتوا كل حاجة في القانون وجت على دي وعايزين تطبقوها

نظر لها الضابط نظرة استحقار وقال:
- عايزة ايه يابت؟ غوري في داهية بدل ما أخدك القسم أخلي العساكر يطلعوكي حامل.

تلك الكلمة سرت في أوصالها قشعريرة وخافت، وقالت بصوت مرتجف بعض الشيء:
- طب سيبه هو ماعملش حاجة

نظر لها أحمد وقال بصرامة:
- امشي مالكيش دعوة بيا أنا ماعرفكيش أصلا

صدمت رحمة من رده ولكنه قال ذلك لتبتعد، خاف من أن يأخذها الضابط إلى

القسم بسببه.

قال الضابط بسخرية لاذعة:
- الله هتعملولي فيها روميو وجوليت وحياة امكم لاخدكم القسم اعملكم انتوا ا لاتنين محضر

قال أحمد بضيق:
- والله أنا معرفهاش ولا هي تعرفني
تغير لون رحمة وخافت ولم تعرف ماذا تفعل وكان أحمد يريد أن يقتلها في ذلك الوقت، لو كان وحده كان لا يهمه شيء، ولكن هو يعرف حقارة بعض أفراد الشرطة كالضابط الماثل أمامه وهي أنثى، تذكر أخته في موضعها ولكن أسعف القدر رحمة وتذكرت أن حسين له قريب من العائلة مدير أمن يدعى نبيل حمدي كان حسين قد حكى لها موقف وذكره فيه، فقالت بثقة وراءها رعب حقيقي:
- عادي خالي مدير أمن وكلمته مسموعة هتصل بيه وبكلمه منه ينقلك أسوان

حسبها الضابط تهزي فقال بغطرسة:

- هو كل ما أمسك حد يقولي خالي وعمي

ثم قال بلهجة شديدة:
- قدامي يابت انتي وهو على القسم وحياة أمكم ليتعمل عليكم حفلة النهاردة.
كان يقف عسكري بعيد ًا عنهم وتابع المشهد من أوله بكل تفاصيله، كان ينظر لهم نظرة مليئة بالأسى ولكنه يعلم أنه إذا تدخل سيقضي نصيبا من الحفلة معهم.

قالت رحمة بثقة:
- على فكرة مش بهزر اسمه نبيل حمدي
وزعمت أنها تبحث عن بطاقة له في حقيبتها فوقع هاتفها والتقطه احمد.

ارتعب الضابط عندما سمع الاسم وتنحنح ورقق صوته وقال بابتسامة صفراء:
- طب مش تقولي من الأول يافندم.. على العموم أنا آسف على سوء التفاهم ده

نظرت له رحمة نظرة انتصار وقالت:

- طب ابقى خلي بالك بقى طالما بقيت بالمعارف

ومشت هي وأحمد، فقال أحمد بغضب بعدما ابتعدا عن الضابط:
- ايه اللي نزلك معايا انتي مش بتنزلي في المعادي

قالت رحمة بانفعال:

- يعني لو كان عملك غرامة وخدك القسم كان هيبقى حلو

- انتي مالك انتي تعرفيني

تضايقت رحمة من أسلوبه فرمت له فرشاة الأسنان التي كانت أخذتها حين جاء الضابط على حقيبته وقالت:
- عندك حق أنا ماليش إني اتدخل

ومشت فشعر بقلة ذوقه معها فلحق بها وقال:
- استني

توقفت وقالت:

- عايز ايه!

- على فكرة أنا مش قليل الذوق زي ما انتي شايفة كده .. بس الموقف عصبني شوفتي قالك ايه لو كنتي زودتي في الكلام أو مالكيش خال في الشرطة كان هيضيع مستقبلك أنا خوفت عليكي عشان عندي اخوات بنات

ضحكت رحمة وقالت:
- أنا معنديش خيلان أصلا

عقد أحمد حاجبيه في استغراب وقال:

- يعني كدبتي على الظابط

- حاجة زي كده

قال أحمد بفضول:

- أومال مين نبيل حمدي ده

- ده قريب زميلي في الشغل

مسك أحمد فرشاة الأسنان وقال:
- طب خدي بقى الفرشة بالخمسة جنيه اللي كانت هتضيعنا دي

أخذتها رحمة ومشت فقال أحمد:
- انتي اسمك ايه

استدارت رحمة وقالت مبتسمة:

- رحمة

- وأنا أحمد

ودعته بابتسامة وانتظرت قدوم المترو حتى جاء واستقلت.

عكر مزاج أحمد ما حدث من إهانة الضابط له أمام جمع من الناس، وذلك لم يكن هينًا على إنسان عنده كرامة وعزة نفس.

فأخرج هاتفه واتصل بصديقه عبد الله وعرف أنه على المقهى مع صديقه محمد الهواري، فذهب إلى المقهى الذي يجلسون فيه دائما في منطقتهم فهو من قاطني ضواحي السيدة زينب، ذهب إليهم وهو مستاء وقص لهم ما حدث، فقال هواري -هكذا ينادونه-:
- يابني سيبك من الشغلانة دي وشوف حاجة تانية قولتلك شغلة متعبة وماسمعتش كلامي

قال أحمد:
- انا ماكملتش فيها شهر واتخنقت منها بس مش لاقي حاجة تاني دلوقتي

قال عبدالله:
- ما انا بقولك تعالى معايا اشتغل دليفري مارضتش

قال أحمد:
- ياعم الشغلة دي بتكفي نفسك بس.. أبوك ربنا يديله الصحة بيصرف على بسمة وعمر إنما أنا عايز حاجة تكفيني وتكفي علاج أبويا والبيت.

قال عبدالله مداعبًا:
- مين قال كده ده أنا نص مرتبي بصرفه على اختي بسمة خاربة بيتي.
قال أحمد:
- ربنا يخليهالك.
فقال هواري موجهًا حديثه إلى أحمد:
- هو أبوك مش بياخد معاش

قال أحمد:
- ٦٠0جنيه وبيخلصوا أول ما يتقبضوا على الأقساط والجمعيات

قال هواري:
- الحال من بعضه ربنا يعينك يا صاحبي

*****

كانت الساعة الثانية عشر منتصف الليل بحثت رحمة عن هاتفها لتضبط المنبه لم تجده، فاكتشفت في تلك اللحظة أنه سقط منها ولكن لا تعرف أين سقط؟ فعندما سقط وهي تحدث الضابط كانت مرتبكة ولم تشعر.. فزمت شفتيها في ضيق وأخذت هاتف أمها ودقت على رقم هاتفها، وهي تدعو أن يكون سقط و لم يسرق، فلو سرق سيفك السارق الشريحة ويحطمها. سمع أحمد وهو مستلق على سريره رنين هاتف في حقيبة العمل، فقد نسي تماما أمره عندما وضعه، وا لآن تذكر فتح الهاتف فسمع صوت رحمة تقول:
- سلام عليكم

قال أحمد:
- وعليكم السلام

بدا الصوت لرحمة مألوفًا ولكن لم تعلم أنه أحمد فقالت:
- الموبايل ده بتاعي ووقع مني

قال أحمد:
- اه معلش لما وقع انا خدته ونسيت أديهولك

عقدت رحمة حاجبيها استغرابًا وقالت:

- انت مين!

- أنا أحمد اللي اشتريتي مني الساعة

ميـ ّزت الآن صوته فاتسعت ابتسامتها وقالت:

- اه طب هاخده ازاي معلش هتعبك

- ولا تعب ولا حاجة بكرة ٥وعشرة في الشهدا هجيبهولك

قالت رحمة بامتنان:
- شكرا

قال أحمد :
- العفو

فقالت رحمة:
- سلام
قالتها وانتظرت إلى أن قال هو الآخر سلام وأغلقت.

*****

فرحت رحمة أنها ستراه لا تعرف لماذا جاءها هذا الشعور؟ كان أحمد غامضا، ربما يكون غموضه هو من جذبها ضبطت منبه هاتف أمها واستلقت على سريرها مستعدة للنوم، ولكن طار النوم من عينيها وظلت تفكر في أحمد وما حدث معهم اليوم، برغم أن كلامه معها كان فظا إلا أنها عذرته، فمعه الحق حتـ ى هو فسر موقفه وقال لها أنه خاف عليها، ظلت تتذكر تلك الكلمة برغم أنها لو كانت أي فتاة أخرى في موضعها سيخاف عليها إلا أن تلك الكلمة ظلت تترد في مسامعها حتى راحت في النوم، فهي تبلغ من العمر ٢٣عاما، ولم تكن في ع لاقة وبالطبع هي تحتاج أن تشعر بأنها مؤثرة في حياة أحدهم وعندها من يخاف عليها ويشعِرها بيقمتها فقط هذا الشعور الذي تحتاجه

*****

استيقظت رحمة حين سمعت المنبه، قامت نشيطة واختارت ملابس أنيقة ولبستها وذهبت إلى العمل، دائما تدخل المكتبة في تمام موعدها أو قبله لم

تجد حسين ولا تقى دقيقتان وجاء حسين سألها:

- تقى جت

- لا ربنا يستر

كانت الساعة الثامنة والنصف ولم تأت تقى وكان من المفروض أن تحضر الثامنة، بعد خمس دقائق جاءت تنهج، مرت من أمام مجدي وقالت:
- سلام عليكم
داعية في سرها أن لا يوبخها

قال مجدي:
- وعليكم السلام.. استني يا تقى

وقف حسين ورحمة يراقبان ماذا سيحدث

وقفت تقى وقالت وهي تبتلع ريقها:
- أيوه يا أستاذ مجدي

قال مجدي:
- الساعة كام

قالت تقى:

- ٨ونص معلش المواصلات كانت وحشة

- الساعة ٨ونص وخمسة يا أستاذة..
أخرج من الدرج 400 جنيه أعطاهم لها وقال:

- دول حق أيامك في الشهر ده وزيادة ماتجيش تاني

ذهب حسين ورحمة إلى مجدي وظلا يترجوه أن يعطيها فرصة أخرى ولا جدو ى ودعت تقى حسين ورحمة وغادرت، وقف حسين ورحمة صامتين، فقال مجدي:

-انا ماظلمتهاش هي اللي مابتحترمش مواعيدها.. لم يرد عليه أحد فقال:
- لو عندكم حد عايز يشتغل هاتوه

اوماً حسين ورحمة بالإيجاب.

*****

نزلت رحمة المحطة وانتظرت دقيقتين وجاء أحمد في تمام الموعد، قالت له رحمة ممتنة:

- شكرا معلش تعبتك

- ولا تعب ولا حاجة هو وقع بسببي اصلا

قالت رحمة مبتسمة:
- الحمدلله أنا كنت بحسبه اتسرق

ابتسم أحمد مجاملا وهم ّ أن يرحل، لاحظت رحمة أن ليس معه حقيبة البيع فقالت مستفسرة:
- أومال فين شنطة الشغل.

قال أحمد:

- مش هشتغل في المترو تاني

- اومال هتشتغل فين!

- لسه مش عارف

قالت رحمة متذكرة:
- سبحان الله النهاردة واحدة مشيت من المكتبة اللي انا بشتغل فيها وصاحب المكتبة قال لو تعرفوا حد ييجي مكانها

فكر أحمد وقال:

- والمرتب كام بقي

- أنا بقبض ٨٠٠ بس أنت لو جيت تقريبا هتاخد١٢٠٠

- اشمعنى

- عشان انا بنت مابشيلش واحط زيكوا يعني أخري أبيع أرتب بس

رآه أحمد مرتبا مناسبا فقال:

- تمام أجي من امتى بقى

- من بكرة لو تحب بس أهم حاجة مواعيدك تبقى مظبوطة.. أصل أستاذ مجدي طرد تقى النهاردة عشان مواعيدها

رفع أحمد حاجبيه وهرش مؤخرة رأسه قائلًا:
- طرد واحدة عشان اتأخرت أومال أنا لو اتأخرت هيعمل ايه مش بعيد يرميني تحت المترو

ضحكت رحمة وقالت:
- هي مش أول مرة تتأخر بس هو طردها من باب الرخامة برضه عشان ماتجيش وتتفاجئ بيه إنه رخم.. بس مين عالم يمكن حصل كده عشان أنت تشتغل مكانها ربنا اللي بيدبر كل حاجة

قال أحمد بجدية:
- ونعم باللّٰه.. طب المعاد الساعة كام بقى ومكتبة ايه

أشارت له رحمة علي أحد المخارج وقالت:
- استناني بكرة ٨إلا عشرة أول ما تطلع من المخرج ده وأنا هوريك المكان هي مش بعيدة أول ما تطلع على طول

ابتسم لها أحمد ممتنا وقال:
- شكر ًا يا رحمة

ردت الابتسامة وهي تقول:
- العفو على ايه

جاء المترو وركبت رحمة عربة السيدات، وركب هو عربة الرجال وتفرق الاثنان.

*****

وقف أحمد في عربة المترو ولكنه اليوم أحد الركاب وليس بائع ًا، أخذ يفكر

في ذلك العمل الذي قالت له عنه رحمة، كان عملا مناسبا بالنسبة له ولكن كيف يصرف على بيته ذلك الشهر فقط، فمعاش أبيه لن يأخذوا منه مليم ًا، يذهب جميعه لدفع أقساط وجمعيات. فكر ماذا سيفعل؟ فجاءت في ذهنه فكرة كان نسي أمرها، ورآها مناسبة أن يذهب إلى أحد محلات الهدايا والعطور، ويبيع له كل حقيبة العمل جملة. وبالفعل عاد إلى بيته أخذ الحقيبة وذهب إلى محل هدايا وعطور يعرف صاحبه معرفة سطحية، فعرض عليه أن يشتري منه تلك ا لأشياء بسعر ما يبتاع هو لمحله، وافق صاحب العمل وابتاع منه جميع ما في الحقيبة وأعطاه ثمنهم، أخذ الثمن وذهب إلى أمه أعطاها نصفهم وأخذ الباقي مصروف شهره، وأخبرها عن عمله الجديد الذي سيبدأ من الغد، وذهب إلى أ صدقائه على المقهى وقص لهم ما قالته له رحمة فقال هواري:

- شكلها حبيتك على فكرة وعلم على كلامي

ضحك أحمد بصوت مرتفع وقال:

- حبيتني ايه ياعم هي اتعاطفت معايا بس

قال عبدالله:

- ياعم باين أوي انها على الأقل استلطفتك.. مافيش واحدة هتعمل ده كله مع واحد عادي كده.

واتبع مداعب ًا:

- والنبي الواد يتحب يا هواري

فضحك هواري وأحمد، ثم قال أحمد بجدية:

- حب ايه ياجدعان أنا ورايا مسئوليات كتير مصاريف البيت وعلاج أبويا وتجهيز ريم ومنار.

*****

استيقظت رحمة متحمسة للعمل، فاليوم مختلف سيكون أحمد معها ذلك الذي قابلته ثلاث مرات ولكن في كل مرة كان يزيد إعجابها به، ولا تعرف هل هذا هو الحب الذي يتحدثون عنه أم لا؟ فقط كل الذي تعرفه أنها تكون سعيدة وهي أمامه خرجت قبل موعدها ببضع دقائق، ربما تكون ربع ساعة لكي تصل قبل أحمد ولا تجعله يقف كثيرا، وبالطبع وصلت قبل موعده وانتظرته حتى أت

ى قابلته بابتسامة مشرقة رد الابتسامة هو أيضا وقال:
- صباح الخير

نظرت رحمة في ساعتها وقالت:

- صباح الفل.. لا مواعيدك تمام

- ده أنا هشرفك

ضحكت رحمة وقالت:
- طب يلا بينا

ذهبا سويا دخلا المكتبة فألقت رحمة التحية على مجدي ووقف أحمد بجوارها رد مجدي التحية وقالت رحمة قبل أن يسأل مجدي:
- أحمد جبته بدل تقى ومواعيده مظبوطة.

فقال مجدي موجه ًا دفة الحديث لأحمد:
- أنت خريج ايه يا أحمد وعندك كام سنة ومنين

استغرب أحمد أسئلته فكأنه سيتعين سفير ًا، بينما فرحت رحمة فكانت تريد أن تعرف كل ذلك، فقال أحمد:

- اسمي أحمد كمال خريج حقوق عندي 24 سنة من السيدة زينب

قال مجدي:
- يعني قريب من هنا كويس جد ًا.
وأردف:
- خديه يا رحمة عرفيه مبادئ الشغل

في تلك اللحظة دخل حسين، فقال مجدي:
- وحسين جه اهو علموه انتوا الاتنين بقى

عرفت الأول رحمة أحمد بحسين ثم أخذوه يعلموه ما سيفعله، فقال حسين موجها حديثه إلى رحمة:
- أقعدي انتي ياختي أنا هعلمه على أساس انك بتعملي اللي أنا بعمله.

قالت رحمة :
- يابني قولتلك بطل حقد وسِماوية بقى

قال حسين:
- وانتي بطلي كلمة سِماوية دي عشان آخر مرة سمعتها كانت في 2005 ستي الله يرحمها كانت بتقولها لأمي على مرات خالي

كان أحمد يتابعهم في صمت، يبدو أنهم على علاقة هكذا ظن

ضحكت رحمة وأنهت المزاح قائلة بجدية موجهة حديثها لأحمد :
- بص الشغل سهل جد ًا .. خلي النهاردة يوم استثنائي ليك واتفرج علينا بس وواحدة واحدة هتعرف كل حاجة واتبعت مداعبة بس ماتاخدش على كده هاه

لم يعجب حسين الكلام إذ سيتحمل هو اليوم كله

فهم أحمد نظراته فقال :
- لا أنا هشتغل من دلوقتي

فقال حسين :
- أهو ده الكلام يلا بينا

أخذه حسين وقال له ما سيفعله وحملا البضاعة الجديدة إلى الداخل مع بعضهم ووضعوها على الرفوف، وجود أحمد خفف عن حسين كثيرا فكانتا تقى ورحمة فتاتين لا يقدرون على الحمل الثقيل وكان الحمل على حسين وحده

*****

انتهى موعد العمل راقبت رحمة بطرف عينيها أحمد، رأته يستعد للمغادرة فغادرت قبله لكي يقدم هو عليها ويمشون سويا، فكان حسين طريقه مختلف عنهم تماما، مشت تنتظر قدومه جاء وراءها تردد يمشي معها أم يذهب في طريقه، حتى جاء خلفها مباشرة وشعرت بخطواته، لم يعرف ماذا يفعل فلم تكن لديه خبرة نسائية ولم يعرف ماذا سيقول إن مشى جوارها، كانت علاقته بـ الجنس الآخر محدودة فسار في طريقه دون أن يعيرها أي اهتمام، فعقدت رحمة حاجبيها في استغراب وزمت شفتيها ونادت عليه قائلة:
- أحمد

وقف أحمد واكتفى بابتسامة جاءت رحمة جواره وواصلا السير، فقالت رحمة:
- أصل طريقنا واحد مش أنت من السيدة

- اه من السيدة

- أجدع ناس

قال أحمد مبتسما:
- ربنا يخليك ِ

غير ّرت رحمة دفة الحوار لتفتح حديثا آخر وقالت:
- ايه رأيك في الشغل
- كويس ومش متعب أوي

كانت تسحب الكلام منه بصعوبة فقالت:
- وايه رأيك في أستاذ مجدي وحسين

قال بنصف ضحكة:
- مشكلة استاذ مجدي إنه فاكر مكتبته جناح عسكري

ضحكت رحمة وقالت:
- وحسين!

ذلك الاهتمام بحسين جعل شكوكه في وجود علاقة بينهم تقوى بداخله فقال:
- باين عليه جدع

قال ذلك وكانا قد نزلا إلى مترو الأنفاق فقال أحمد:
- استني هروح أجيب التذاكر

فأخرجت رحمة من حقيبتها جنيه لتعطيه له فنظر لها أحمد بضيق وقال:
- انتي عمرك ما مشيتي مع راجل قبل كده؟!

فقالت باستغراب:
- والله ابدا

فضحك هو قائلًا:

- ما أقصدش كده قصدي إن من الذوق إن ماينفعش تدفعي وانتي مع راجل يعني

ابتسمت وقالت:
- الكلام ده لو مرة أو مرتين لكن ده هيبقى كل يوم.. يعني لازم أدفع

قال أحمد ساخرًا وهو يتجه إلى نافذة التذاكر:
- مش مشكلة ما هو يوم الجمعة أجازة.. هبقى أعمل حاجات كتير أوي بالجنيه في اليوم ده

ضحكت رحمة وانتظرته وهي سعيدة حتى جاء وأعطاها تذكرتها واتجها إلى رصيف اتجاه حلوان وقفت معه كانت تود أن تركب معه في العربة المشتركة فقال أحمد:
- يلا المترو جاي أهو روحي اركبي في عربية السيدات عشان الزحمة

تلاشت ابتسامتها وذهبت بعد أن لوحت له بيدها وقالت:

- سلام

- سلام

*****

وقفت وسط الزحام حتى جاءت محطة السيدة زينب كانت تعرف أنه سينزل هنا، حاولت أن تراه ولكن الواقفين قبالتها حجبوا عنها الرؤية.

نزل أحمد واتجه إلى المقهى الذي يجلس عليه دائما مع أصدقائه لم يكن أحد منهم هناك جلس بمفرده ظل شاردًا بضع دقائق حتى جاء سمير العامل بـ المقهى وقال:
- تشرب ايه يابو كمال

انتبه أحمد على صوته وقال:
- شاي ما أنت عارف

ذهب سمير يحضر له كوب الشاي وأخرج أحمد هاتفه من جيب سرواله وأخذ جولة بين مواقع التواصل الاجتماعي لم يلق جديدًا فأغلقه في ملل.

حتى جاء هواري جذب مقعد ًا وجلس قبالته وقال:

- أحلى حاجة في شغلتك الجديدة انك بتخلص بدري يا رب تثبت فيها بقى

- يا رب

- ايه الشغل حلو ولا متعب ؟

قال أحمد:

- شغال مش وحش واستطرد قائلا هو عبدالله بيخلص شغل امتى مش المفروض يكون خلص ؟

- اه تلاقيه راح بيتهم يتغدى انا جاي بالصدفة معرفش انك هتخلص بدري كده

جاء سمير قطع عليهم الحوار وضع كوب الشاي أمام أحمد وقال:
- أجبلك الشيشة يا هواري ولا مش دلوقتي ؟

قال هواري:
- دلوقتي يا بو سمرة

*****

أطل حازم شقيق رحمة الأكبر من حجرته وقال:
- رحمة معلش تعالي اكتبيلي شوية ملاحظات هماليهالك عشان ورايا حاجات ك تير وعايز أنجز

نهضت رحمة من مجلسها وقالت:
- حاضر يا دكتور.

كان حازم حديث التخرج من كلية طب بشري، ويعمل على اختراع عقار يقضي على الأورام السرطانية، كان ذلك حلمه ومكرسا كل وقته لذلك الاختراع الذي سيفيد البشرية إن حصل على براءة الاختراع وتبنته الدولة.

*****

دخل أحمد بيته وجد أشقاءه وأمه يبكون عقد حاجبيه وقال:

- في ايه ؟!

لم يتلق ردا من أحد، فسأل شقيقه الأصغر ياسين الذي كان هادئا نوعا ما، وقال بقلق:

- بيعيطوا ليه يا ياسين؟!

قال ياسين باكيا:
- أبوك تعبان خالص وفضل يرجع دم النهاردة.

مد أحمد شفتيه في ضيق وقال:
- إن شاء الله هيبقى كويس

دخل حجرة أبيه ونادى على أمه، جاءت أمه قال لها وهو ما زال عند الباب بصوت منخفض بحيث لا يسمع أبوه ولا إخوته:
- يا ماما الحمد لله بقى كويس اهو بدل ما تطمني اخواتي وتهديهم تعيطي وتخليهم يعيطوا زيادة

قالت عزيزة وهي تكتم بكاها:
- كان تعبان خالص يا أحمد.. أنت ما شوفتوش أنا بحسبه بعد الشر بيموت
- بعد الشر إن شاء الله هيبقى كويس

قال ذلك ودخل جلس على السرير جوار أبيه.

*****

أنهت رحمة مساعدة حازم وذهبت إلى حجرتها وضبطت المنبه واستلقت على سريرها، جذبت الغطاء عليها داعب أحمد خيالها في رقة وجاء في ذهنها قوله

"انتي عمرك ما مشيتي مع راجل قبل كده؟"

قالت في تفكيرها:
- لا أنت أول راجل وأخر راجل إن شاء الله

ابتسمت عند ذلك التفكير وراحت في النوم

*****

نزلت رحمة من بيتها قبل موعدها بدقائق لكي تنتظر أحمد ركبت المترو ونزلت في محطة الشهداء، جلست على أحد المقاعد تنتظر أحمد انتظرت خمس دقائق فكرت أن ذلك ليس

من الأدب أن تنتظره هي، من المفترض أن يفعل هو كل ذلك لأجلها وليس العكس، فنهضت على الفور غادرت المحطة وذهبت إلى المكتبة، دخلت علقت في رقبتها الشريط الذي يحمل البطاقة التي بها اسمها وجلست وحيدة، فهي نزلت من بيتها قبل الموعد بقليل لذلك قدمت قبل موعدها.

دقائق وأتى حسين علق شريطة بطاقته في رقبته هو الآخر ، وألقى عليها التحية وجلس قبالتها يقص لها جديد ما حدث معه بشأن منى ابنة عمه التي يحبها، فدخل أحمد وجدهم يتحاورون وعندما جاء وقف حسين حديثه فألقى عليهم التحية، وجلس بعيدا عنهم كي لا يزعجهم فوقفت رحمة تنادي عليه يجلس معهم وقالت:
- أحمد.. قاعد لواحدك ليه تعالى أقعد معانا

قال أحمد:
- لا خليكم على راحتكم

قال حسين:
- يا بني هو احنا قاعدين على الكورنيش تعالى

قال أحمد:
- لا صدقوني أنا مرتاح كده

دخل مجدي وأعطى لأحمد شريطة بها البطاقة التي تحمل اسمه وقال:
- كارنيهك اتعمل اهو

أخذه أحمد علقه في رقبته وقال مجدي:
- يلا يا حسين أنت وأحمد تعالوا دخلوا البضاعة جت

انصاعا لأوامره وأدخلا البضاعة ووقفت رحمة تبيع للطلبة المشتريين

*****

خرج أحمد الخامسة مساءا بعد انتهاء العمل وخرجت رحمة وراءه مشت بجواره وقالت:
- أنت زعلان من حاجة

قال أحمد:
- لا
- يعني هو ده طبعك ساكت كده على طول وشكلك حزين ؟!

قال أحمد بشيء من الحزن:
- يمكن.

قالت رحمة مغيرة دفة الحديث:
- عارف أنا مكنتش أعرف إنك جامعي

عقد أحمد حاجبيه وقال بنصف ضحكة:
- اشمعنى.. شكلي شحات ولا ايه

أدركت رحمة ما قالته فتلعثمت في القول وقالت:
- مش كده مش قصدي،، قصدي انك مكافح وكده وده صعب تلاقيه كتير في الجيل ده

أومأ أحمد برأسه في تفهم وقال:
- ساعات الظروف بتفرض عليكي حاجات ويا تبقي قدها يا تحسي بضعفك وعجزك فلما ابقى قدها بأي شكل أحسن ما أكون ضعيف.

قالت رحمة مبتسمة:
- صح كلامك

وقفت وذهب أحمد يجلب التذاكر وعاد أعطاها تذكرتها واتجها إلى الرصيف فقالت رحمة قبل أن يأتي المترو :
- أنت عندك فيس ؟!

ابتسم أحمد وقال:
- اسم الأكونت أحمد كمال بالانجليزي

قالت رحمة:
- حاطط صورة ايه بقى؟ ما أنا هلاقي مليون أحمد كمال

جاء المترو في تلك اللحظة فقال:
- صورة ابو تريكة

ابتسمت رحمة وقالت:
- تمام.. هروح أدخل المعركة بقى باي باي

وركضت إلى عربة السيدات .

فابتسم أحمد وصعد العربة التي استقرت أمامه

*****

جاء المترو عند محطة ماري جرجس وخلي مقعد جوار رحمة فجلست تنظر في وجوه من حولها تقاسيم كل وجه كان يعطيها أن خلفه حكاية يطول سردها، الشرود والحزن كان

يكسو معظم الأوجه التي أمامها، كوجه أحمد الذي يقول أن حكايته كبيرة، فذهب خيالها إلى وجهه وظلت تفكر بحيرة ما الذي يجعله حزينا وشاردا معظم الأوقات هكذا، قد يكون مات أبوه أو صديقه أو أخوه، أو ماتت أمه أو أخته كانت تختلق أسباب وتحاول أن تقصي فكرة أن يكون أحب ولم يوفق، وما زال يحب حبيبته، فلم تستطع إبعادها فكانت تلك الفكرة الأرجح في رأسها، وجعلت الغيرة تدب في قلبها وتختنق نظرت أمامها رأت أماكن لم تألفها فوقفت عربة المترو في محطة ثكنات المعادي فقد تخطت محطتها نزلت على الفور وصعدت السلم عبرت به إلى الاتجاه الآخر اتجاه المرج.

*****

التف أحمد وإخوته وأبوه وأمه حول المائدة، يتناولون طعام العشاء، فقالت منار:
- أحمد أنا عايزة فلوس الدروس عشان المدرسين بيفضلوا يكسفوني كل حصة

وقالت ريم:
- وأنا عايزة فلوس ملازم المراجعة

:وقال ياسين :
- وأنا عايز فلوس الاشتراك بتاع الكورة زي اصحابي

فقالت عزيزة:
- بالراحة على أخوكم شوية يا ولاد

هرش أحمد في أنفه وقال:
- طب ماينفعش الفلوس دي تستنى ١٠أيام بس أكون قبضت أنا لسه رايح الشغل من نص الشهر ومكملتش كام يوم

زفر إخوته في استسلام وقالوا:
- ماشي

*****

في اليوم الثاني في المكتبة كانت رحمة جالسة على أحد المقاعد وحسين وأحمد كانا انتهيا للتو من وضع البضاعة على الرفوف فقال مجدي:
- تعالى يا حسين انقل الكشاكيل دي دخلها المخزن

انصاع حسين لأوامره وشرع في نقل الكشاكيل

ثم قال مجدي موجها حديثه لأحمد:
- وانت يا أحمد روح مكتبة الفن عند محمد محسن هات منه دستين كانسون واتنين

فبريانو قوله أستاذ مجدي وهبة باعتني أخد الاسكتشات هيديها لك أنا قايل له

قال أحمد:
- فين المكتبة دي

هم مجدي أن يشرح له ثم قال ليريح رأسه:
- خديه يا رحمة عرفيه المكان

غادر أحمد ورحمة المكتبة فقال أحمد:
- هي المكتبة دي بعيدة

هزت رحمة كتفيها وقالت:
- انا معرفهاش أصلا كان بيوديني مكاتب غيرها
- طب ماقولتيلوش كده ليه يا ناصحة
- هنسأل وخلاص

قال أحمد بحيرة:
- طب هنمشي ازاي في نواصي كتير

أشارت له رحمة على أحد الأزقة وقالت:
- هي غالبا في المنطقة دي فاحنا نمشي من الشارع ده ونسأل أي حد يقابلنا

سارا الاثنين جوار بعض فوقف أحمد وقال:
- هو أستاذ مجدي قالي أجيب ايه أنا نسيت

قالت رحمة ملمحة لأمر ما:
- اللي واخد عقلك يتهنا بيه. واتبعت: قال دستتين كانسون ودستتين فبريانو

قال أحمد :
- الحمد لله كنت هرجع أسأله تاني وشكلي كان هيبقى وحش وجودك جه بفايدة برضه

برمت رحمه شفتيها وقالت مداعبة:
- مش عارفة من غيري كنت هتعمل ايه
- فراخ بانيه

ضحكت رحمة وقالت:
- مع إنها قديمة وبايخة بس ما أنت بتعرف تهزر أهو .. ده أنا كنت قربت أقتنع إن دمك تقيل بصراحة
- انتي مش عاجبك أي حاجة كده لا أسكت عاجب ولا أهزر عاجب

- لالالا هزر براحتك ياعم. واستطردت: اسأل الراجل اللي جاي على العجلة ده بقى

مر رجل يقود دراجة هوائية بجوارهم فأوقفه أحمد وقال له:
- لو سمحت ماتعرفش مكتبة الفن فين

تنحنح الرجل وقال:
- هو قالك فين

قال أحمد:
- مش عارف هو قالي مكتبة الفن

قال الرجل:
- تعرف صيدلية الهلال

زم أحمد شفتيه وقال:
- أنا عايز أروح مكتبة الفن ومعرفش حاجة هنا

قال الرجل:
- طب امشي علطول واكسر يمين في شمال واسأل اي حد هناك.

قال ذلك وساق دراجته وغادر.

قال أحمد:
- شوفتي مش عارف حاجة وبيفتي وخلاص

ضحكت رحمة وقالت:
- مصريين بقى.

وأكملا سيرهم فوجدا عجوزا جالسا على مقعد أمام محل يتصفح جريدة فقال أحمد:
- لو سمحت متعرفش فين مكتبة الفن ؟ واستطرد:

وبعد اذنك يا حاج لو مش عارف قول مش عارف عادي مش لازم تفتي

غضب العجوز وقال:
- طب تصدق باللّٰه اني كنت عارف بس مش قايلك حاجة عشان قلة ادبك دي غور ياض

انفجر أحمد ورحمة من الضحك وتركوه وأكملا سيرهم فوجدا شابا آخر في طريقهم فقال أحمد:
- لو سمحت متعرفش فين مكتبة الفن

قال الشاب:

- مش عارف والله

افتعل أحمد الاندهاش وقال:
- ايه ده مش معقول.. أنت مصري؟

قال الشاب:
- لا.. أنا ليبي مقيم ليه

فضحك أحمد ورحمة بشدة لم يفهمهم الشاب، فتركهم وغادر ورأت رحمة أمامها لافتة م دون عليها مكتبة الفن، فأشارت عليها وقالت لأحمد وهي تضحك:
- ايه ده احنا قدام المكتبة.

وأكملا ضحكهم
عندما تكون بصحبة من تحب ستضحكك أبسط الأشياء حتى وإن كانت لا تدعو للإبتسام

*****

كان هواري في طريقه إلى بيته، فوجد ريم شقيقة أحمد عائدة من الجامعة وقت ما بعد المغرب وشابان معترضان طريقها يمشون خلفها ويتحرشون بها تحرش لفظي، وهي خائفة وتمشي بخطى سريعة، فاتجه هواري ناحيتها واشتبك مع الشابين، ولكم واحدا منهم ففر ا لاثنان خائفين، فوقفت ريم وقالت له بصوت مرتعد وهي ممتنة:
- شكرا يا محمد.

فقال هواري:
- العفو على ايه ماتبقيش تتأخري تاني كده وابقي زعقي هما بيخافوا من الصوت العالي

قالت ريم:
- أصل كان عندي محاضرة متأخر بس مش هحضرها تاني

قالت ذلك ومشت دقيقة ونظرت خلفها وجدت هواري يسير وراءها فنظرت أمامها سريعا حتى وصلت إلى أول المنعطف الذي فيه بيتها، ونظرت خلفها ثانية رأت هواري مغادرا الشارع، فعلمت أنه قد أتى وراءها إلى هنا ليطمئن ّ عليها.

*****

رجعت رحمة بيتها بدلت ملابسها وأدت فريضة المغرب، واستدعتها هدير شقيقتها لتراجع لها دروسها، لأن اختباراتها قد قربت، كانت هدير في الصف الثالث الثانوي. انتهت رحمة من المراجعة لها وقامت تشاهد التلفاز مع أمها حتى جاء أبوها وشقيقها وتناولوا طعام العشاء جميعا، وظلوا يتحدثون في مواضيع عدة حتى قامت رحمة لتنام.

*****

وقف هواري في شرفة منزله يدخن سيجارته ويفكر فيما حدث اليوم مع ريم شقيقة أحمد ، فلأول مرة يراها بتدقيق كانت حسنة الشكل والهيئة، فدوما عندما يكون عند أحمد وتحضر لهم أكواب الشاي لا ينظر لها، تفكيره بها أصبح مختلفا تضايق من ذلك التفكير لأ نها شقيقة صديقه، رمى سيجارته ودلف حجرته تمدد على سريره ونام.

*****

توالت الأيام رتيبة كانت رحمة في المكتبة تضع كراسات على الرف، و ذهب أحمد ليحضر بضاعة من مكتبة أخرى، فجاء حسين جوار رحمة ليقص لها آخر أخباره إذ لم يبح لها بأي أ سرار منذ قدوم أحمد وقال:
- منى لسه مش حاسة بحاجة.. أنا اتخنقت.

نظرت له رحمة ولوت شفتيها وقالت:
- الحال من بعضه

اندهش حسين وقال:
- ازاي!
- أنا كمان بحب واحد مش حاسس بحاجة

قال حسين بشك:
- احمد مش كده

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:

- عرفت ازاي هو أنا مفضوحة أوي كده؟

- انتوا الاتنين مفضوحين

- ازاي يعني ؟

- يعني انتي باين أوي إنك بتحبيه وهو باين إنه بيحبك

قالت رحمة متلهفة:
- بجد!! طب باين ازاي انه بيحبني؟

غمز لها حسين وقال:
- السينس بتاعي عالي شوية

قالت رحمة بجدية:

- لا بجد بقى
- شكله بيبقى متضايق وأنا بكلمك بحس كده من نظراته

قالت رحمة بابتسامة صغيرة:
- لا عادي هو مش حاسس بحاجة أصلا أنا دلوقتي بس عرفت معاناتك مع منى ربنا يكون في عوننا بقي

قال حسين:
- بس أنا تعبت.. أنا على الحال ده من زمان

دلف أحمد في تلك اللحظة، فتوقف حسين ورحمة عن الحديث، وذهب حسين يكمل عمله.

*****

كانت ريم تبتاع أشياء من محل البقالة الذي في منطقتهم وكان هواري جالسا مع عبد الله على القهوة التي أمامه، فثبت هواري نظره على ريم دون أن يشعر و عبد الله يحدثه ولم ينتبه له حتى نظر عبدالله في الاتجاه الذي ينظر نحوه هواري فوجد ريم فقال عبد الله:
- في ايه ياهواري؟ أنت بتبص على ريم!

انتبه له هواري وتلعثم في القول وقال:
- لا.. لا طبعا

عقد عبد الله حاجبيه وقال:
- هو في حاجة انا معرفهاش

قال هواري بضيق:
- شكلي حبيت ريم بس غصب عني والله لقيتني بفكر فيها ماقصدش إني أخون صاحبي ق ال عبد الله باستغراب :

- خيانة ايه يا بني.. هو أنت كلمتها ولا بتخرج معاها
قال هواري:
- لا.. بس أدخل بيتهم إزاي وهو مستأمني وأنا أصلا معجب اخته

- هو بمزاجك يعني إنك تعجب بيها.. دي حاجة بتحصلك مش أنت اللي بتعملها

- بس اوعى أحمد يعرف حاجة

جاء أحمد من الخلف وضع يده على كتف هواري، وقال غامزا:
- قفشتك.. أعرف اييييه بقى.

شحب وجه هواري وتغير لونه، فقال عبد الله بهدوء:
- هواري كان عايز يعملك مفاجأة بس أنت حرقتها لنفسك. واستطرد: ولا حرقتها ليه مش هنقولك دلوقتي انت هتعرف في وقتها.

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- ايه هتجبلي فردين حمام؟

قال ذلك وجذب مقعد وجلس قبالتهم.

لم تكن علاقة أحمد بأصدقائه تجعله يشك في أمرهم لذلك لم يعبأ بما سمعه، وصدق كلام عبد الله.

*****

تعالي يا رحمة اكتبي معايا شوية حاجات كده

قالها حازم فور خروجه من حجرته، كانت رحمة ممسكة بطبق فيه ترمس تأكل منه وجالسة أمام التلفاز، وجوارها هدير وصفاء، فأشارت رحمة على هدير وقالت:
- انا بحب الفيلم ده.. هدير أهي خلصت امتحانات ومذاكرة خليها تكتبلك مرة بقى أنت اختراعك مابيخلصش يا عم

عدل حازم نظارته الطبية ووضع أحد ذراعيه في جنبه وقال:
- طب لما اختراعي ينجح وأبقى مشهور ما تجيش تتلزقي فيا بقى، ماشي؟

رفعت رحمة حاجبيها وقالت:
- بعد كل اللي كتبتهولك

قالت صفاء:
- روحي ياهدير اكتبيله دول مش هيخلصوا النهاردة

قامت هدير تكتب لحازم وبقيت رحمة جوار صفاء تكمل مشاهدة فيلم غرام وانتقام كانت مغرمة بمشاهدة الأفلام الكلاسيكية القديمة، التي يغلب عليها الطابع الرومانسي لأنها تحب ذلك النوع من الدراما.

*****

رجع أحمد بيته طرق الباب وانتظر أن يفتح له، فسمع ضجيج أطفال، فعرف أن شقيقته الكبرى قد أتت، فتح له أحمد ابن سمر شقيقته التي سمي أحمد على اسمه وهو يقول:
- خالووو

فمال أحمد عليه وقال وهو يقبله:
- حبيب خالووو

ودخل ألقى التحية على سمر وسلم عليها سلاما حارا، وحمل رضيعها الآخر مازن قبله وأ عطاه لها وجلس يلهو معهم هو وريم ومنار وياسين، كانت سمر تأتي في الإجازات الدراسية تمكث معهم عدة أيام وتعود إلى بيتها، وكانت عندما تأتي تكون أياما استثنائية يتحول البيت من الحزن على حال الأب إلى المرح والسهر.

قالت سمر:
- عامل ايه يا أحمد في شغلك

قال أحمد:
- الحمد لله تمام وعلي عامل ايه
- كويس الحمد لله. واستطردت سمر: بما انك موجود بقى كنت عايزة اقولكم على حاجة.

قالت عزيزة:
- قولي يا بنتي
- نادر اخو علي عايز يتقدم لريم

عقدت ريم حاجبيها وقالت:
- ده نادر ده صايع.. لا طبعا مش موافقة

قال أحمد:
- عندك حق هو فعلا صايع

قال ذلك ونهض ودلف حجرته

قالت سمر باستغراب:
- هو أحمد قام ليه

قالت عزيزة:
- اللي فيه مكفيه ما كنش لازم تقولي قدامه يا سمر كنتي تسألي ريم الأول هتوافق ولا لا

*****

دخلت رحمة حجرتها وهي تدندن أغنية المطربة أسمهان التي سمعتها في الفيلم

امتى هتعرف إمتى اني بحبك إنت "

إمتى هتعرف إمتى إمتى إمتى

"إمتى هتعرف

ونامت وهي تفكر في أحمد.

*****

في حين استلقى أحمد على سريره يفكر في همومه، فشقيقته قد كبرت ويتقدم لزواجها عرسان، وهو لا يملك مالا لتجهيزها، كل أمواله تذهب لعلاج أبيه المريض، ماذا لو كانت ريم وافقت؟ سيكون عاجزا أمامها، حمد الله أنها اعترضت من البداية، وظل يفكر حتى خنقه التفكير ثم قال بصوت منحفض:
- يااارب.

وراح في النوم

*****

غاب عقل ريم عن الحاضرين، وذهب لمكان آخر، جاء في ذهن ريم هواري عندما قالت سمر أن نادر يريد التقدم للزواج منها، هي لم تعرف نادر حق المعرفة ورفضت لأمر آخر، لا تعلم لماذا جاء هواري في ذهنها في ذلك الوقت وتذكرت اليوم الذي أنجدها فيه من المتحرشين، ومشى وراءها حتى جاءت شارعها واطمئن عليها، منذ ذلك اليوم وهو يأتي كل حين في ذهنها وفي مواقف مختلفة،

فاقت من شرودها على صوت سمر وهي تقول:
- رييييم

قالت ريم:
- أيوه
- انتي فين يابنتي بكلمك وانتي مش معايا خالص
- معاكي اهو

*****

في اليوم التالي في المكتبة كانت رحمة تنفض الأتربة التي فوق الرفوف، وهي تغني بصوت منخفض: امتى هتعرف امتى اني بحبك أنت „ سمعها حسين وهو يمر من جوارها فقال مداعبا :
- مش هيعرف طول ما انتي بتغني الاغنية دي. واستطرد وهو يشير حوله: انتي فاكرة التراب ده طالع من الرف ده من الأغنية القديمة اللي بتغنيها.

قالت رحمة:

- بس بس أنت ايش فهمك أنت في الفن.. ده أنا هضحي بكام ميجا من الباقة وهنزلها.
mp3

جاء أحمد وقال لحسين بضيق:
- مش هندخل البضاعة اللي بره

قال حسين:
- هندخلها يلا

خرج أحمد وخرج خلفه حسين وغمز لرحمة غمزة ذات معنى، وهو يسير وراء أحمد

فهمته رحمة وضحكت، وقالت بعد ما غادر:
- يا رب يكون احساسك صح يا أخويا

وأكملت ما تفعل.

*****

في المساء بعد انتهاء العمل خرجت رحمة من المكتبة، وخرج أحمد وراءها مشى جوارها صامتا، فقالت رحمة:
- مالك ؟

لم يجب أحمد بضع ثواني ،وصمتت رحمه حفظا لماء وجهها، فنطق أحمد أخيرا وقال بهدوء:
- نفسي اموت.

عقدت رحمة حاجبيها من سماع هذه الجملة، وقالت بضيق وهي ناظرة أمامها:
- ليه بتقول كده

- فكك مش هتفهميني

- قولي ايه اللي مضايقك وانا هفهم

- عليا التزامات كتيرة أوي وخايف مابقاش قد المسؤلية.

كانا قد نزلا محطة مترو الأنفاق فتركها أحمد وذهب يجلب التذاكر وجاء أعطاها تذكرتها ووقفا على رصيف اتجاه حلوان منتظرين قدوم المترو ،فقالت رحمة :
- أنا هركب معاك العربية المشتركة

ونظرت له وقالت:
- مش أنا مع راجل برضه

قال أحمد بنصف ابتسامة:
- أكيد

جاء المترو وركبا مع ًا، فقام شاب لتقعد رحمة وقال لها:
- آقعدي يا آنسة

قالت رحمة مبتسمة:
- شكرا ربنا يكرمك.. أنا واقفة اهو

قال الشاب:
- لا أقعدي عشان الزحمة

فرمقها أحمد بنظرة صارمة وقال بضيق:
- أقعدي بقى

فجلست رحمة وكانت سعيدة وهي في صحبة أحمد وقالت:
- لو أعرف إني لو ركبت معاك هلاقي مكان بسهولة كده.. كنت ركبت معاك من أول يوم ده أنا ساعات بفضل واقفة لحد محطتي لما رجلي تورم

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- ماتاخديش على كده آخر مرة هتركبي معايا فيها.

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- ليه بقى إن شاء الله؟ وبعدين مش بمزاجك أنا راكبة في مترو الحكومة.

ضحك أحمد وقال:
- إفرضي محدش الشهامة كلته وقام وقعدك هتوقفي ازاي في الزحمة دي

- زي ما أنت واقف كده

- لا أنا راجل عادي.. إنما أنت ما ينفعش

قالت رحمة مداعبة:
- مجتمع ذكوري متعفن

وظلا يتحدثان إلى أن جاءت محطة السيدة زينب، وقال لها:
- سلام

لو ّحت له رحمة بيديها وقالت وهي مبتسمة:
- سلام

****

ذهب أحمد لأصدقائه على المقهى ذلك المكان الذي يجمعهم دائما ويبوحون فيه لبعضهم ما يضايقهم ويهونون على بعضهم البعض وجد هواري، دقائق وجاء عبد الله وكان الضيق واضح ًا على وجه أحمد، فقال عبد الله:
- مالك يا ابو كمال؟
- مخنوق

قال هواري:
- ليه بس يا معلم

قال أحمد:
- حاجات كتير

قال هواري:
- ايوه ايه هي بقى

قال أحمد:
- في عريس عايز يتقدم لريم

قطب جبين هواري وقال:
- وأنت ايه رأيك فيه

قال أحمد:
- الحمد لله ريم رفضت قبل ما يتقدم أصلا

فرح هواري وقال:
- الحمد لله

فتدخل عبد الله سريعا وقال:
- اه الحمد لله أكيد كده أحسن ليك عشان لسه ما جهزتهاش صح

قال هواري:
- هو ده اللي مضايقك يا عم ما تقلقش والله ربنا اللي بيسهلها

فقال أحمد:
- وحاجة كمان

قال هواري مداعبا:
- ايه غية الحمام وقعت

لكزه أحمد في كتفه وقال:
- قوم يالا من هنا

فقال هواري بجدية:
- لا بجد بقى ايه تاني مضايقك
- هواري أنت عمرك حبيت

فازدرد هواري ريقه وقال:
- ازاي يعني

فقال عبد الله موجها حديثه لأحمد:
- ايه السؤال العبيط ده يا بني أنت

قال أحمد:
- بسأل عادي عايز أعرف ازاي تعرف إنك بتحب واحدة

رفع عبد الله أحد حاجبيه قائلًا:
- ما دام سألت السؤال ده تبقى وقعت يا اسطي

قال أحمد:
- هو ده اللي مضايقني

قال هواري باستغراب:
- متضايق انك حبيت!
- اه

فقال عبد الله:
- طب حبيت مين بقى يا معلم
- رحمة
ضحك هواري وعبدالله وقال هواري:
- يعني احنا قولنالك قبل كده ان شكلها حبيتك اتدلقت أنت زي الجردل وحبيتها

فقلب أحمد شفتيه وقال:
- ايه الغلاسة بتاعتكم دي يعني

فقال عبدالله وهو يضحك:
- بس بقى يا هواري خلينا نشوف متضايق من ايه

وأكمل بجدية:

- ايه بقى اللي مضايقك طلعت مرتبطة!

قال أحمد :
- في واد اسمه حسين معانا في الشغل ملزق كده.. معرفش بيحبها ولا ايه كل ما يكون بيكلمها وادخل يروح ساكت واستطرد قائلا:

بس مش حسين اللي مضايقني أنا حاسس إنها بتحبني

قال عبدالله:
- اومال ايه اللي مضايقك؟

قال أحمد بحزن:
- أنا أصلا مش مبينلها خالص إني بحبها حتى ساعات بعاملها برخامة عشان ماتحبنيش بس كل يوم بحبها اكتر ,, والله أنا ما عارف أعمل ايه

قال هواري:
- أنت عبيط يالا

وقال عبد الله:
- ازاي حبيتها من أول يوم شوفتها فيه وازاي مش مبينلها حبك وبتعاملها برخامة ومش عايزها تحبك؟ معلش فهمنا بالراحة

نظر لهم أحمد وقال:
- ببساطة معنديش شقة ولا وظيفة ولا أي حاجة وريم اختي على وش جواز محتاجة جهاز وبعديها منار غير مصاريف علاج ابويا اللي ما بتخلصش يعني ماينفعش أحب وأ عيش دور مش دوري.. وأعلق معايا بنات الناس، أنا الحب م ُحرم عليا زيه زي الخمرة ولحم الخنزير ما ينفعش أقرب منهم ولو قربت أبقى بضر نفسي.

*****

بعدما غادر أحمد المقهى، بقى هواري وعبد الله، فجلس هواري يشرب شيشة وينفث دخانه بضيق، فقال عبد الله:
- مالك أنت كمان

قال هواري بضيق:
- بيقول ريم اتقدملها عريس يعني ممكن في أي وقت تتخطب وتتجوز ومش هعرف أ قولها حتى إني معجب بيها ولا بحبها عشان أخت صاحبي

قال عبد الله:

- طب ما تقول لأحمد انك عايز تخطبها وادخل البيت من بابه على طول.

- ما ينفعش دلوقتي خالص.. ما أنت عارف مش جاهز وشغلتي بتكفيني بالعافية.

- خلاص ارضى بالأمر الواقع بقى وبعدين ما هي كمان مش جاهزة مش لسه أحمد كان بيقول إنه مش مجهزلها حاجة.

طمأنه عبدالله بذلك الكلام واقتنع به هواري.

*****

رجعت رحمة بيتها ألقت التحية على صفاء وهدير ودخلت حجرتها بدلت ملابسها وجلست على السرير، وفتحت الانترنت من الهاتف وبحثت عن أغنية "امتى هتعرف" وانتظرت التحميل، ففتحت مذكرة الهاتف تكتب بها خواطرها كانت تعشق الكتابة برغم أنها ليست بارعة فيها، ولكنها تحبها انتهى التحميل ففتحت موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك ترى أحمد نشطا أم لا ؟ فقليلا ما تلقاه نشطا، وجدته نشط فاتسعت ابتسامتها وكتبت له:
- ازيك

كتب احمد:
- الحمد لله وانت

- الحمد لله

- يدووووم

- يا رب

وكتبت رحمة رسالة أخرى:
- أنا كتبتلك حاجة ممكن تغير مودك ممكن اوريهالك
- أكيد ممكن

ازدردت رحمة ريقها، وكتبت له:
- الابتسامة الحزينة هتبقى ضحكة وليها صوت

لما ربنا يبعتلك نصيبك من الفرحة

ويعوضك عن كل يوم عانيت فيه واتمنيت الموت

وعن كل ضحكة كانت مكسورة وعيون سارحة

اصل اللي نجى يونس من بطن الحوت

قادر يخليك مبسوط زي عروسة لابسة الأبيض والطرحة

وضغطت إرسال،

قرأ أحمد الرسالة مرتين، وابتسامته تتسع، كل حرف بها لمس قلبه مكتوبة على مقاسه، وبالفعل تغير مزاجه وأصبح سعيدا ليس من تلك الكلمات ولكن لوجود من يهتم لأمره إلى هذا الحد وكتب لها:
- حلوة أوي .. دي انتي اللي كتباها ؟!
- عجبتك ؟

- جدا

- أصلي بحب الكتابة جد ًا.. بس على أدي زي ما أنت شايف كده.

وكتبت رسالة أخرى:
- وأنت بقى معندكش هوايات ولا مواهب.
- بحب أطلع فوق السطح أطير الحمام.. وبيقولوا صوتي حلو كنت بغني في حفلات ايام الجامعة ,, وفي المدرسة كنت بنشد في الاذاعة بس من ساعة ما اتخرجت وأنا نفضت للموضوع ده ليه معرفش وبقيت بغني في الحمام.

ضحكت رحمة وكتبت:
- ده أكيد عمرو دياب عملك عمل ورماه في حمام عمومي عشان ماتنافسوش

ضحك أحمد وكتب:
- أنا حسيت بكده برضه

ظلا يتحدثون ويمزحون قرابة ساعة ونصف فجاءت منار وقالت:
- يلا يا أحمد العشا جهز

فكتب أحمد:
- انا هقوم بقى عشان بينادوا عليا عشان اتعشى

كتبت رحمة:
- بالهنا والشفا

- تسلمي يلا سلام

- سلام

*****

تناولت رحمة طعام العشاء مع أسرتها ودخلت حجرتها وجلست على سريرها، وشغلت الأ غنية التي تذكرها بحالها مع أحمد كأنها مكتوبة خصيصا لها كل كلمة بها توصف حالها بدقة وظلت تردد معها.

*****

أنا أفتكرت أما أقولك على نادر هتفرحي عشان هنبقى سلايف ومع بعض.

قالت ذلك سمر وهي مستلقية على السرير جوار ريم قبل النوم، فقالت ريم وهي ناظرة للسقف:
- كان نفسي طبعا نبقى مع بعض.. بس نادر ده انتي نفسك كنتي بتشتكي منه وبتقولي صايع وبتاع بنات
- ده كان زمان وكان مراهق إنما دلوقتي كبر وعقل وعايزك عشان محترمة .. عايز يستقر بقى.

قالت ريم باستغراب:
- الشباب دول بجد دماغهم غريبة يعرفوا بنات بعدد شعر راسهم ويلفوا معاهم ويكلموا دي ويسيبوا دي ويعجبوا بدي ويقضوها ويبوظوا البنات وفي الأخر يدوروا على واحدة محترمة طب ازاااي!

قالت سمر:
- طب وليه ما تقوليش انه نضف وتاب وانت تساعديه على كده أو حبك مثلا وعايز يبتدي حياة جديدة
- ماتضحكيش على نفسك ياسمر أنت ِ قولتي بنفسك عايزني عشان محترمة وعايز يستقر إنما حب لا وأنا مش قليلة عشان حد يتجوزني عشان عرف بنات قذرة ميعرفلهمش لا أصل ولا فصل، وعايزني أنا لمجرد إني محترمة وعارف أصلي وفصلي لا يا سمر أنا مش هفضل ده كله محافظة على نفسي وقلبي عشان في الأخر أتجوز واحد كان مقضيها وعايز يستقر أنا مش هقبل غير واحد يحبني وييجي يخبط على باب بيتي ويطلبني عشان بيحبني مش عشان عايز واحدة محترمة أمه ولا أخته دلوه عليها

قالت سمر بإعجاب:
- كلامك صح بس كان نفسي نبقى مع بعض.

قطع حديثهم مازن بصوت بكاءه فقامت سمر ترضعه.

*****

نزلت رحمة في محطة الشهداء قبل الموعد بدقائق، انتظرت قدوم أحمد ليذهبا إلى

المكتبة سويا، ذلك القرار البسيط اتخذته في ساعات جلست على آخر مقعد في المحطة الذي يمر من أمامه من نزل من أول عربة لآخر عربة، دقائق ونزل أحمد ومر من أمامها ولم يلحظها لأنه لا يتوقع أن تجلس تنتظره، فنادت رحمة عليه وقالت:
- أحمد

نظر أحمد تجاه الصوت وجد رحمة فقال باستغراب:
- قاعدة هنا ليه انتي مستنية حد!

نهضت رحمة وقالت مبتسمة:
- أه كنت مستنية واحد بس جه خلاص

ابتسم أحمد وقال:
- الواحد ده اسمه أحمد!

هزت رحمة رأسها وقالت:
- أه اسمه أحمد كمال
- ده شكله أنا

ضحكت رحمة ومشت بجواره فقال أحمد:
- كنتي مستنياني ليه بقى

- نزلت بدري شوية قولت أستناك نمشي سوا

- على فكرة الكلمتين اللي بعتيهم امبارح دول حلوين أوي بجد

- ربنا يكرمك

- انتي فعلا كتبتيهم عشاني ولا كنتي كتباهم قبل كده

- والله كتبتهم عشانك كنت بحمل اغنية كتبتهم على ما تتحمل

- أغنية ايه

صمتت رحمة لحظات وابتسمت محرجة

فقال أحمد:
- اغنية الصمت دي ولا ايه

قالت رحمة:
- لا أغنية عادية

ازداد فضول أحمد فضحك وقال:
- شكلك بتسمعي مهرجانات شعبي ومكسوفة تقولي

فقالت رحمة:
- لالالا شعبي ايه أصلها أغنية قديمة
- ايوه طب اغنية ايه بقى

قالت رحمة سريعا:
- أغنية امتى هتعرف بتاع أسمهان

ضحك أحمد وقال مداعبا:
- ما كنتيش عايزه تقولي عليها ليه بقى .. هو أنا كنت هروح أعرفه مثلا

في تلك اللحظة كانا قد وصلا إلى المكتبة ودخل الاثنان وألقيا التحية على مجدي وعلقا في رقبتهم البطاقات التي تحمل اسماءهم، وجاء حسين وانشغل كل منهم في عمله

*****

نزلت ريم مع منار تبتاعان خضروات وتتسوقان.

بعدما انتهيا من التسوق وابتاعا ما يحتاجونه قالت ريم لمنار:
- روحي بقى جيبي كيلو رز ومرقة دجاج من الماركت.. وأنا هستناكي هنا عشان الشنط تقيلة
- ماشي

أعطتها ريم النقود وذهبت منار تبتاع الأرز ووقفت ريم في انتظارها مر هواري بالصدفة من جوارها فوقف وقال:
- واقفة هنا ليه يا ريم في حاجة!

قالت ريم:
- لا مفيش ده أنا مستنية منار بتجيب حاجة

وقف هواري متردد يتحسس مؤخرة رأسه ثم قال:
- أخبارك ايه

- الحمد لله

- احمد كان بيقول إن كان متقدملك عريس

كانت ريم قلقة لتأتي منار وتجدهم واقفين وتفهم الأمر خطأ فقالت باختصار:

- أه ورفضنا خلاص
- أنا عارف إن وقفتي دي غلط وإنك متضايقة من وقفتي دي بس هقولك حاجة وامشي عل ى طول

تردد لحظات ثم قال:
- ريم أنا بحبك وأتمنى تستنيني لحد ما أجي اتقدملك لو مش موافقة قوليلي وأوعدك إ ني مش هكررها تاني

تفاجأت ريم لم تكن تتوقع أن يقول لها ذلك صمتت واحمرت وجنتيها خجلا.

فقال هواري:
- قولي طيب موافقة ولا مش موافقة وأنا امشي على طول

لمحت ريم منار قادمة وتنظر إليهم فقالت بسرعة:
- موافقة بس امشي بقى

فمشى هواري وجاءت منار وحملت الاثنتان أكياس الخضروات وقالت منار أثناء سيرهم:
- هو محمد هواري كان واقف معاكي بيعمل ايه

ترددت ريم وقالت:
- كان !!!

وضغطت على شفتيها وقالت:
- كان بيسألني في حاجة ولا ايه وايه اللي موقفني هنا وكده

قالت منار:
- اومال مالك متلغبطة كده

- قصدك ايه يا منار

- ما قصدش حاجه بس أحمد لو عرف كده انتي عارفة ايه اللي ممكن يحصل
- والله كنت واقفة وهو جه سألني كده اعمل ايه؟ أقوله امشي! وبعدين انتي عايزه تقولي لأحمد يعني؟

- لا طبعا.. أنا قصدي إن لو حد شافك وقاله يعني ما كنش ينفع توقفي معاه كده

قالت ريم منفعلة:
- يعني أعمل ايه يا منار هو أنا اللي قولتله تعالى أقف معايا

*****

كانت رحمه جالسة على مقعد ليس في يديها عمل فجاء حسين جوارها وقال مسرورا:
- موضوعي أنا ومنى اتطور خالص

قالت رحمة:
- ايوه ياعم.. قولي وصلتوا لحد فين بسرعة

- امبارح قالتلي ماجتش بقالك اسبوع ليه

- حست بغيابك أهو عشان تبقى تسمع كلامي

كان أحمد واقفا على مقعد يرص بضاعة على رف أمامه وينظر لهم بطرف عينيه

فقال حسين بصوت منخفض:
- بصي ابو حميد الخلبوص عمال يبص بجنب عينه ازاي وهيطق قال ذلك وضحك

فقالت رحمة:
- والله كلامك ده شكلي هصدقه وهيوديني في داهية
- أنا شاب زيه وفاهم .. والله ده أنا حاسس إنه بيكرهني بسببك ياشيخة

*****

وقفت ريم في المطبخ مع سمر يطهون الطعام كانت ريم سعيدة وتفكر في هواري وما ق اله لها.. ولكن تسرب إليها بعض القلق أفسد عليها فرحتها، خوفا من أن تقول منار لأحمد كما لمحت لها أو أن يكون رآها أحدهم ويخبره، فرأت سمر تمسك علبة الملح ففاقت من شرودها وقالت سريعا بصوت مرتفع دون أن تدري:
- لالالا ماتحطيش ملح استني

فزعت سمر من طريقتها وقالت:
- في ايه!

هدأت ريم وقالت:
- استني أما أشيل شويه لأبوكي مانتي عارفة بياكل من غير ملح

قالت سمر وهي مازالت مندهشة :
- حاضر أهو

فقالت ريم لتكسر الصمت:
- أيوه يا عم.. أحمد متوصي في فلوس الأكل اليومين دول عشانك، ابقي تعالي كل يوم، أ حسن معدتنا نشفت من أكل الفول

قالت سمر:
- ربنا يعينه على المصاريف ويرزقه ببنت الحلال يا رب
*****
- يلا حماده عشان تتغدى

قالتها والدة هواري له، وهو جالس أمام التلفاز وناظر له، ولكن لا يدري ما به فهو أيضًا في عالم آخر، يفكر في ريم، متسربا له هو الآخر بعض القلق عليها وعلى علاقته مع أحمد.

فكررت والدته ما قالته بصوت مرتفع:
- يلا يا حماده الغدا جهز

فانتبه هواري وقال:
- جاي.. بس بلاش حماده دي الله يخليكي في شحط قدي كده ماشي في ال ٢٥ سنة يتقاله يا حماده

قالت والدته ضاحكة:
- حاضر ياحماده

فضحك هواري وقال:
- براحتك يا نهله

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد وبعده رحمة، مشى أحمد فلحقت به رحمة وقالت:
- ايه الندالة دي.. يعني أستناك الصبح وتسيبني أنت آخر النهار! عايز تهرب من التذكرة ولا ايه

فقال أحمد:
- أنا قلت لا تكوني عايزه تمشي مع حسين ولا حاجة
- حسين طريقه غير طريقنا.. ما بيركبش مترو أصلا

صمت أحمد فقالت رحمة:
- هو أنت مابتحبش حسين؟!

- اشمعنى؟

- سؤال عادي

- عادي لا بحبه ولا بكرهه.. بس ساعات بتخنق منه

- ليه بقى

- معرفش عادي كده

- على فكرة والله هو طيب جد ًا

- هو انتوا مرتبطين!

ضحكت رحمة بشدة عندما قال ذلك، فقال أحمد:
- بتضحكي على ايه؟!

قالت رحمة وهي ما زالت تضحك:
- حسين عنده ٢٢ سنة وأنا عندي ٢٣ يعني أكبر منه.. غير كده كمان هو بيحكيلي على البن ت اللي بيحبها دايما حسين ده زي أخويا.

قال أحمد بارتياح:
- االاه .. عشان كده بيبقى بيتكلم وأول ما أجي يسكت
- بالظبط كده

نزل الاثنان محطة المترو، ذهب أحمد كالعادة يجلب التذاكر وانتظرته رحمة حتى جاء وأ عطاها تذكرتها

وقالت رحمة:
- هركب معاك بقى زي المرة اللي فاتت عشان أقعد.. أصل في السيدات بتعب من الواقفة

قال أحمد:
- طيب أما نشوف أخرتها

جاء المترو وصعد الاثنان مع ًا رغم الزحام

*****

طالما خايف أحمد يعرف كده تبقى عارف إن اللي عملته غلط ومكنش ينفع تعمله

قالها عبد الله لهواري أثناء جلوسهم على المقهى فقال هواري:
- والله ماكنت مرتب كده ولا أي حاجة.. أنا لقيتها صدفة فقولتلها. واستطرد: بس بصراحة فرحت أوي لما قالت موافقة ومكنتش مصدق

- ربنا يسعدك يا صاحبي
- يا رب.. إن شاء الله كلها سنة واتقدملها وسنة كمان أكون خلصت الشقة واتوظفت ولا حاجة ونتجوز

- إن شاء الله

*****

جاء أحمد من العمل وقالت عزيزة موجهة حديثها لريم ومنار:
- قوموا جيبوا الغدا.. أخوكم جه اهو

فقامت ريم ومنار وسمر حضروا الطعام ووضعوه على المائدة

وأطلت ريم برأسها من النافذة وقالت:
- ياسين يا ياسين

كان ياسين يلعب مع أصدقائه كرة في الشارع فتوقف ونظر لها وقال:
- عايزه ايه
- يلا عشان الأكل جهز

قال ياسين:
- جاي أهو

وترك زملاءه وصعد

ودخل أحمد حجرة أبيه وساعده على النهوض وأسنده عليه وخرج الاثنان والتفت جميع ا لأسرة حول المائدة، وشرعوا في تناول الطعام، جلس أحمد الصغير- أو ميدو كما يقولون له- جوار خاله أحمد الذي قال له:
- جبت الشهادة يا ميدو

قال ميدو متحمسًا:
- أه ناجح ومنقول للصف الثاني الابتدائي

ضحكوا جميعا على طريقته

فمسح أحمد على شعر ميدو وقال:
- يا لعييب حتى الشهادة حفظتها. واستطرد موجها كلامه لسمر:
- اهتمي بالواد ده وشدي عليه في المذاكرة من صغره كده دماغه نضيفة جد ًا إن شاء الله هيبقي حاجة في المستقبل.

قالت سمر:
- يارب أشوفه زيك

ابتسم أحمد ابتسامة مريرة وقال:

- زيي ايه يا سمر هو أنا دكتور ولا مهندس

قالت عزيزة:
- أحسن من الدكتور والمهندس

قال أحمد:
- للأسف يا أمي احنا في مجتمع مابيعترفش إلا بالطب والهندسة غير كده تحصيل حاصل.
واستطرد موجها كلامه لميدو مداعبا
- مالكش دعوة بيا وأوعى تفكر في حقوق خالص دي كلية الفشلة في نظر المجتمع ركز عل ى طب أو هندسة عشان تواجه أم المجتمع ده اشطة

قال ميدو:
- حاضر ياخالو . واستطرد قائلا: عارف أنا بروح كمان الكتاب وفي سورة الواقعة

قال أحمد:
- كمان.. لا ده أنت كده بقى عايز هدية حلوة هبقى أجبهالك بكرة وأنا جاي من الشغل

فقالت سمر:
- بطل رغي بقى ياميدو وسيب خالك ياكل

قال ميدو:
- حاضر يا ماما

*****

صعد أحمد إلى سطح بيتهم ودلف عشة الحمام فتح الشبكة ووضع إصبعيه في فمه، وظل يصفر حتى طار الحمام، خرج ونظر لأعلى السماء وهو يلوح للحمام بالعلم، ويراه وهو طائر كان يغبطه على مكانته وتمنى لو أصبح مكانه.. أن يكون في عالم الطير ولو ليوم واحد، لا يحمل هم مصروف البيت، ولا هم مرض أبيه، ولا هم مصاريف إخوته ولا هم نفسه .. هم نفسه لأنه أحب كان ذلك أكبر همومه لأن الحب بالنسبة إليه له طريق واحد وهو العذاب، أما الطير فإن عظم همه سيكون قد هدم عشه وسوف يبحث عن مكان آخر وفي نهاية المطاف حتما سيجده.

*****

جلست رحمة تتناول طعام العشاء مع أسرتها فقالت صفاء:
- أخبار العقار ايه يازومه

قال حازم:

- هانت ادعولي بس ربنا يكرمني

قال شاهين:
- ربنا يكرمك وييسر أمورك

وقالت صفاء:
- ربنا ينولك اللي في بالك يارب

وقالت رحمة مداعبة:
- أنا صوابعي اتهرت من الكتابة في الاختراع ده.. عارف لو ما ذكرتش اسمي في حوار صحفي أو على التلفزيون؟ مش هيحصل كويس ماشي يابرنس

رد حازم المداعبة وقال وهو يعدل نظارته:
- اسمي الدكتور حازم

ضحكت رحمة وقالت:
- الله الله.. أومال لما تتشهر هتعمل فينا ايه

ضحك الأب والأم على أولادهم وتدخلت هدير قائلة:
- طب يا دكتور حازم لو سمحت.. أنا بس اللي اسمي يتذكر في حوراتك ولقائاتك لإني أ خر واحدة كتبت والعبرة بالخواتيم

ضحك حازم وقال:
- هو أنا لسه خلصت انتوا لسه هتكتبوا كتير

قالت رحمة بجدية:
- يا رب تخلص الاختراع وينجح

قال حازم:
- يارب أنا نفسي أفيد بلدي والبشرية بس والله,, مش عايز شهرة ولا غيره

قال شاهين:
- إن شاء الله الاختراع ينجح وتحقق نجاح كبير لبلدك ولنفسك ولينا كلنا

ردوا جميعا:
- إن شاء الله

****

توالت الأيام رتيبه ليس بها أي جديد يذكر ،كان أحمد في المكتبة يحمل بضاعة إلى

الداخل وحده، فقد تغيب حسين اليوم عن العمل، فنظرت له رحمة وجدت المشقة والإ رهاق باديين عليه فاتجهت نحوه وحملت دستة كشاكيل من فوق الأرض معه فوضع أحمد ما في يده على الأرض وأخذ من يدها الكشاكيل بعنف وقال:
- حد قالك إني محتاج مساعدة

شعوره بالعجز أمامها ضايقه كثيرا .. فطوال الوقت يشعر بالعجز أمام أمه وهو يعطيها عشرين جنيها أو أقل لمصروف بيت مكون من ستة أفراد وقلما يعطيها أكثر من ذلك بقليل ، ويشعر بالعجز أمام أبيه المريض وهو يراه يتألم ولا يقدر أن يفعل له شيئا، وليس معه اله ال الكافي لعلاجه في أفخم المستشفيات أو تحمل الألم عنه ولو قليلا ويشعر بالعجز أمام إخوته حينما لا يلبي جميع احتياجاتهم، ويشعر بالعجز أيض ًا كلما يرى رحمة ولا يقدر أن يعبر لها عما به من مشاعر نحوها أرهقه شعور العجز الدائم.

لذلك انفعل على رحمة، التي صدمت من ردة فعله وبكت رغما عنها وتركته وجلست على مقعد في آخر المكتبة تكفكف دمعها، تضايق أحمد ونقل جميع البضاعة إلى الداخل وذهب إليها رأته مقدما عليها فتحاشت النظر إليه، ونظرت في الجانب الآخر، قال أحمد بنبرة حزينة:
- رحمة ما تزعليش مني والله ما كنت أقصد

قالت رحمة باكية وهي ما زالت لا تنظر له:
- وأنا ماكنتش أقصد أضايقك.. أنا كان قصدي أساعدك
- أنا آسف بس ماتعيطيش بقى.. انتي كده بتضايقيني حرام عليك ِ والله

نظرت له رحمة وقالت والدمع في عينيها:
- أنت ليه بتعاملني كده.. ساعات تبقى كويس وساعات لا، ليه كده؟
- رحمة أنت ِ مش هتفهمي بس اعذريني

انفجرت رحمة بداخلها وقالت بأسى وانفعال:
- أنت اللي مش هتفهم أي حاجة.. أنت فاكر إن سهل عليا إني أبقى أنا اللي بتلزق فيك وبحاول أرضيك بأي طريقة واسحب الكلام منك بالعافية بقالي ١٠ شهور على الحال ده للدرجة دي يعني مش فاهم ولا فاهم وبتستعبط ولا ظروفك ايه بالظبط

ضغط أحمد على شفتيه وصمت قليلا ثم قال:
- وانتي فاكرة إن سهل عليا الكلام اللي أنت ِ قولتيه ده؟ رحمة أنت ِ متعرفيش أي حاجة عن ظروفي أنت ِ كل اللي تعرفيه احمد الكئيب اللي قليل أوي لما يبتسم حتى معرفش أصلا أنت ِ حبتيني على ايه

قالت رحمة:

- لا في أسباب كتير تخليني أحبك يا أحمد

وأكملت دامعة: أنت ابن بلد وجدع ومكافح وده بقى قليل وبعدين الحب مش بإيدينا لو كان بإيدي أحبك أو أكرهك كنت كرهتك من معاملتك ليا من البداية

قال أحمد:
- وأنا كمان لو كان الحب بإيدي ماكنتش حبيتك من أول يوم شوفتك فيه بالتحديد لما طلعنا بره المحطة عشان نفك ال ٢٠٠جنيه

تفاجأت رحمة من كلامه أحبها قبل أن تحبه! فقالت باندهاش:
- ثانية واحدة بس كده.. عيد اللي أنت قولته تاني عشان مش مستوعبة

ابتسم أحمد ابتسامة واهنة وقال:
- أنا حبيتك من أول يوم شوفتك فيه وعلى فكرة تاني مرة لما موبايلك وقع قدام الظابط وأنا خدته أنا ساعتها كنت بدعي ربنا انك تنسيه عشان اشوفك تاني ويا ريتك مانستيه وم اكناش عرفنا بعض

قالت رحمة:
- ليه كده؟ حتى الحاجة الحلوة لازم تختمها بحاجة تضيع حلاوتها ليه ما نبقاش سند لبعض نرمي عليه همومنا فهمني ظروفك وأنا مش قليلة الأصل أنا هبقى معاك دايما على المرة قبل الحلوة .. والله ما هشتكي بالعكس هحاول دايما أشيل عنك ما تجيش على نفسك أوي كده „ طاوع قلبك يا أحمد لو عقلك خد قرار ضده القلب اللي بيتوجع مش هو

- رحمة أنا قدامي كتير أوي.. وأنت ِ مش هتقدري تستني لمدة في علم الغيب

- استناك العمر كله.. أنا كفاية عليا إني عرفت انك بتحبني مش عايزه أي حاجة تاني

ابتسم أحمد وقال:
- مش لاقي أي حاجة أقولها غير إني بحبك

ضحكت رحمة واختلط ضحكها ببكائها وظلت تضحك وتبكي في ذات الوقت

*****

كانت ريم عائدة من الجامعة وكان هواري جالسا على المقهى خصيصا ليراها فقد حفظ مواعيد عودتها وكان ذلك لقائهم المعتاد الذي يرون فيه بعض يختلسون النظرات إلى بعضهم في صمت كل يوم، ورغم ذلك كان كل منهم يحب الآخر إلى أقصى درجة، كان حبهم يخلو من المهاتفات والمقابلات ولكن القلوب المحبة والعيون المشتاقة لها لغة لا يفهمها إلا المحبون، رأت ريم هواري يدخن شيشة كانت أول مرة تراه يدخنها فتضايقت وأ

لقت نظرة على الشيشة ورمقته بنظرة مستاءة، وتحاشت النظر إليه وأكملت سيرها، عرف هواري أن ذلك الأمر ضايقها فتضايق هو الآخر، ليس له أي حديث معها ليصالحها أو يشرح لها وجهة نظره فنفث دخانه بضيق وألقى اللاي من يده وجلس مستاء، فدق هاتفه وكان المهاتف رئيسه في العمل يبلغه أن يأتي مع بقية الصبية بسبب عمل عاجل قد أتى له، كان هواري يعمل في النقاشة إلى أن تأتي له وظيفة فقد كان خريج معهد فني تجاري أنهى المكالمة وذهب إلى المكان المراد وجد زملاءه في العمل قد حضروا ألقى عليهم التحية وحمل أدواته وصعد السلم الحديدي ووقف على المسطح الحديد ليدهن واجهة منزل، كان الطابق الثاني.. وقف يدهن وهو شارد يفكر في موقف ريم منه حتى فلتت قدمه وسقط أ رضا وفتحت رأسه وسالت الدماء منها، تجمع العمال حوله سريعا وفقد الوعي فحملوه وأ دخلوه في سيارة مرت أمامهم، كل ذلك حدث سريعا ونقلوه إلى أقرب مستشفى كانت مستشفى استثماري حملوه زملائه وركضوا به إلى الداخل فأوقفهم أفراد الأمن قال أحد زملائه:

- وسع الراجل بيموت

قال موظف الاستقبال من مكانه:

- لازم تدفعوا الفلوس الأول يافندم

قال زميل ثان له بانفعال:

- بيقولك الراجل بيموت دخلوه الأول وبعدين نبقى نتكلم في الفلوس

قال الموظف ببرود:

- آسف لازم الدفع الأول

فقال آخر:

- طب كام الفلوس

قال الموظف:

- ٢٠٠٠جنيه يافندم

قال الزميل:

- طب دخلوه بسرعة لحد مانشوف حل

قال الموظف:

- الفلوس الأول يافندم قلت

ثم قال بعدم إنسانية لأفراد الأمن:

- طلعوهم بره

انفعل زميل وهتف بصوت مرتفع:
- حسبي الله ونعم الوكيل فيكوا يا كفرة الواد بيموت في حد هيمشي بمبلغ ٢٠٠٠ في جيبه على أساس إنه عارف إن هيحصله كده. واتبع مغلوبًا:
- يا كفرة

ظل الزملاء يترجوا ويستعطفوا موظف الاستقبال وأفراد الأمن أن يدخلوه على حجرة الا ستقبال ولكن دون جدوى.

فقال أحد الزملاء:
- مفيش وقت يا جماعة هواري هيروح مننا دول عالم معندهاش رحمة ولا إنسانية همهم الفلوس بس يلا ننقله مستشفى تانية بسرعة

فذهبوا به جميعا إلى مستشفى حكومي

*****

دخل أحمد منزله فتحت له منار وكانت ريم جالسة ممسكة بهاتفها، جلس أحمد يتنفس الصعداء، دقيقة ودق هاتفه كان رقم هواري المتصل فتح أحمد المكالمة وقال:
- ايه يا باشا

فقال المتصل:
- أنت صاحب هواري أصلك أخر رقم هو متصل عليه

نهض أحمد من موضعه وارتفعت نسبة الأدرينالين في عروقه وازدرد ريقه وقال:
- هواري ماله هو جراله حاجة

سمعت ريم الاسم فسقط الهاتف من يدها والتفتت إلى أحمد باهتمام

قال المتصل:
- وقع من الدور التاني في الشغل وهنا في المستشفي تعالى بسرعة أحسن حالته خطرة

قال أحمد:
- مستشفى ايه بسرعة
- مستشفى سيد جلال
- طب أنا جاي حالا

سمعت ذلك ريم فسقطت دموعها لا إراديا، اتجه أحمد مسرعا نحو الباب فركضت خلفه ريم وقالت دامعة:
- ايه اللي حصل يا أحمد

قال أحمد في عجالة:
- هواري وقع من على السقالة في الشغل من الدور التاني وفي المستشفي حالته خطيرة ربنا يستر قال ذلك وغادر مسرعا

جلست ريم على الأريكة وظلت تدعو في خفوت ودموعها تتساقط وتمسحها سريعا خوفا من أن يسألها أحد عن سبب بكائها ولكن منار كانت ترصدها منذ سقط هاتفها وترى ردود أ فعالها الغريبة، وتيقنت من أنها على علاقة بهواري.

خرجت عزيزة من حجرتها وقالت:
- أحمد لسه ماجاش

قالت منار:
- جه وحد اتصل عليه قاله إن محمد هواري في المستشفى وقع من الدور التاني وجري عل ى هناك.

قالت عزيزة:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. سلم يارب سلم

فجلست منار جوار شقيقتها وقالت:
- كمان شوية يا ماما نتصل على أحمد ونشوف حصل ايه ونطمن قالت ذلك لتطمئن شقيقتها

قالت ريم وهي تعطي هاتفها لعزيزة:
- أه ياماما خدي اتصلي على أحمد واسأليه

قالت منار:
- اصبري يا ريم أكيد لسه أحمد ماوصلش

*****

وصل أحمد وعبد الله المستشفى وذهبا إلى قسم الطوارئ وسألا عن اسمه وركض الاثنان إ لى مكان الحجرة وجدا زملاءه في العمل، كانوا أربعة أفراد وعلى وجوههم علامات الأسى، قال أحمد:
- فين هواري ؟!

قال أحد الزملاء:
- في العمليات نزف كتير ربنا يستر.

وقف أحمد وعبد الله وعليهم علامات القلق البالغ والخوف قال عبد الله:

- إن شاء الله حاجة بسيطة

قال أحمد:
- يااارب

وقفوا جميعا منتظرين خروج الطبيب، دق هاتف أحمد كانت ريم فألغى المكالمة، خرجت إ
حدى الممرضات وقالت:
+O- محتاجين دم بسرعة مين فصيلة دمه

قال أحد الزملاء:
+O - انا

فقال عبد الله:
- شوفوا فصيلتنا ايه احنا مش عارفين

ذهب الزميل للتبرع وذهب الباقي لمعرفة فصيلة دمه عدا اثنين كانا يعرفان فصيلتهم
وليست مطابقة

وجد أحمد فصيلته +O فتبرع هو الاخر.

قالت الممرضة:
- لو تعرفوا قرايبه اتصلوا بيهم بسرعه عشان اكيد هيحتاج تاني الحالة ماتطمنش

قال عبد الله:
- اتصل برامي أخوه؟

قال أحمد:
- أنا مارضتش أبلغهم عشان ماقلقهمش بس إذا كان كده اتصل
دق هاتف أحمد ثانيًا ففتح المكالمة بضيق وقال:
- الو

قالت عزيزة:
- ايوه يا أحمد.. هواري عامل ايه طمنا يا ابني

فقال أحمد دامعا:
- ادعيله ربنا ينجيه يا ماما

فقالت عزيزة:
- إن شاء الله خير وهيبقى كويس
- إن شاء الله .. سلام

- سلام

قالت ريم بلهفة:
- قالك انه كويس
قالت عزيزة:
- قالي ادعيله وصوته حزين أوي ربنا يستر
قوست ريم شفتها وعقدت حاجبيها وقالت:
- يااارب

*****

جاءت والدة هواري وأبوه وأخوه مفزوعين وطمأنهم أحمد وعبد الله.

مرت ساعة من الوقت وخرج الطبيب ركضوا إليه جميعا، وقالت والدة هواري:
- خير يا دكتور طمنا الله يخليك

قال الطبيب:
- اطمنوا وخلوا عندكم يقين بربنا هو عنده كسر في الجمجمة وكسر في دراعه ورجله الشمال.. هو بس نزف كتير عشان جه متأخر، إن شاء الله خير.

قال عبد الله:
- طب عايزين ندخل نشوفه

قال الطبيب:
- الزيارة ممنوعة دلوقتي ممكن يومين وتدخلوا تشوفوه بس ادعوله قال ذلك وتركهم و غادر

*****

عادت رحمة إلى بيتها وهي أسعد أهل الأرض، حيرة وهموم أياما وليالي طويلة، قد ذابت اليوم وظلت تتذكر أول أيام رأت فيها أحمد، عندما نزل الاثنان لفك مئتي الجنيه، وعندما وقفا أمام الضابط وعندما أتى لها أحمد بهاتفها تلك المواقف تذكرتها كثيرا، ولكن اليوم تتذكرها بطريقة مختلفة، فقد كان كل موقف من تلك يحبها أحمد وهي لا تعرف، وعجلت موعد نومها أدت فريضة العشاء ونامت سعيدة لتقوم ترى أحمد.

*****

دخلت منار حجرتها واستلقت جوار ريم فلفت ريم رأسها للناحية الأخرى لكي لا تراها منار، تساقطت دموعها في صمت ولكن في سكون الليل وهدوئه إن وقع مخيط سيسصدر له

صوتا لذلك صوت شهيقها اتضح، فقالت منار:
- ريم

قالت ريم:
- ايوه

- مالك!

- مالي ازاي

- سامعة كإنك بتعيطي

- هعيط ليه

- معرفش

عاد الصمت مرة ثانية فقالت منار:
- محمد هواري صعبان عليا أوي

سيطرت ريم على بكائها وقالت:
- إن شاء الله هيبقى كويس

- هو يهمك!
- يهمني ازاي يعني.. صعبان عليا زي ما صعبان عليك ِ وبعدين هو مش صاحب أخويا وعارفينه

- صاحب أخوك ِ بس

- عايزه ايه يا منار

- مش عايزه حاجة.. تصبحي على خير

قالت ذلك وجذبت الغطاء فوق رأسها ونامت

*****

نظرت رحمة في ساعتها وجدتها الثامنة والربع صباحا زمت شفتيها في ضيق فقال حسين:
- ده استاذ مجدي هينفخه لما ييجي

قالت رحمة:
- اهدى بس أنت

مر من الوقت نصف ساعة وفقدت الأمل في مجيئه اليوم جاء مجدي وقال:
- أحمد ماجاش؟

قالت رحمة:
- عنده ظروف جامدة النهاردة معلش

قال مجدي بضيق:
- وماتصلش يعتذر ليه؟ وبعدين هو حسين مايجيش امبارح وهو مايجيش النهاردة بيسلموا ورديات لبعض ولا ايه

قالت رحمة:
- حسين هيشيل شغله النهاردة زي ما أحمد شاله امبارح

غادر مجدي دون أن يرد فقال حسين:
- أيوه ياختي دافعيله

- أومال أدافعلك أنت مثلا

- مثلا يعني

قالت رحمة بسرور:

- اسكت مش امبارح اعترفلي بحبه.. ده أنا لو أعرف كده كنت خليتك تغيب من زمان

- يا بنت الايه

- طلع كل كلامك صح كان بيحبني من زمان

قال حسين بتفاخر:
- عيب يابنتي.. أنا دايما آرائي صائبة وثاقبة. واستطرد: عقبالي يارب

قالت رحمة:
- صحيح مفيش جديد مع منى
- كل كلامها ونظراتها بتقول إنها وقعت في غرامي وبتدوب في دباديبي خلاص

ضحكت رحمة وقالت:
- ربنا يهنيك يا سحس

في تلك اللحظة جاء مجدي وقال:
- يلا يا حسين تعالى دخل البضاعة

نهض حسين وقال مداعبـ ًا:
- هو ده الهنا! ماتدعيليش تاني

*****

رجع أحمد بيته صباحا فقد سهر على المقهى التي أمام المشفى هو وعبد الله بعدما أقنعهم الأطباء والممرضات أن يعودوا إلى بيتهم وأن وجودهم لا فائدة منه، فلم يقتنعا جيدا وجلس الاثنان على المقهى ليطمئنا على حالته صباحا، فدخلا المشفى في الصباح واطمئنا من الطبيب على حالته، وجلسا في المشفى بعض الوقت وعادا إلى بيوتهم، فتحت له عزيزة جلس أحمد وجلست عزيزة قبالته وقالت:
- أخبار محمد ايه

قال أحمد في أسى :
- الحمد لله الدكاترة بيقولوا إن شاء الله هيبقى كويس لو حالته استقرت لحد بكرة يبقى مرحلة الخطر عدت، المشكلة انهم ودوه الاول مستشفى خاصة ومرضوش يقبلوه عشان الفلوس وده عطله وخلاه نزف كتير لو كانوا دخلوه كان زمانه بقى كويس

- إن شاء الله هيبقى كويس

- بإذن الله. واستطرد : هقوم أريح شوية بقى

قال ذلك ونهض من مكانه وذهب إلى حجرته لينام.

*****

قامت ريم من نومتها قالت لعزيزة:
- احمد جه يا ماما ؟

- اه جه هلكان ياحبة عيني دخل نام

- قال محمد عامل ايه !

- بيقول حالته مش مستقرة اصله نزف كتير عشان فيه مستشفى مرضتش تقبله اتعطل ونزف كتير، بس ربنا كبير ان شاء الله هيبقى كويس ده لسه شاب صغير ياعيني.

قالت ريم بحزن:
- يا رب يبقى كويس

*****

رحمة تعالي سمعيلي عشان لما بسمع لنفسي بخم.

قالتها هدير لرحمة، كانت هدير في عامها الأول في كلية آداب قسم تاريخ

قالت رحمة:
- معلش يا هدير مش فايقة خالص و مصدعة
قالت هدير وهي عائدة إلى حجرتها مداعبة:

- يبقى هسمع لنفسي وهخم وهسقط وهعركم كلكم براحتك.
ضحكت رحمة وأمسكت هاتفها فتحت موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" للمرة الخامسة ترى أحمد نشطا أم لا.. وجدته غير نشط أغلقت بعد ان تركت له رسالة:

- احمد ماجتش النهاردة ليه ؟

*****

ذهب عبد الله وأحمد إلى المستشفى يطمئنا على حال صديقهم دخلا إلى مكان حجرته وسأل أحمد الطبيب وقال:

- حالته بقيت عاملة ايه يا دكتور؟

- الحمد لله في تحسن كبير وإن شاء الله ممكن بكرة يخرج من العناية المركزة ويدخل أ وضة عادية

قال أحمد:
- إن شاء الله.. شكرا يا دكتور

قال ذلك وغادر الحجرة هو وعبد الله فوجدا رامي شقيق هواري قد أتى للتو.. طمأنه عبد الله بالكلام الذي قاله الطبيب فقال رامي ممتنا:
- إن شاء الله هيبقى كويس.. روحوا انتوا بقى شغلكم وابقوا تعالو بكره متعطلوش نفسكم أكتر من كده

قال أحمد:
- عطلة ايه بس.. إن شاء الله نيجي بكرة نلاقيه في أوضة عادية

وألقى عليه التحية وودعاه هو وعبد الله وغادر الاثنان

*****

جلس أحمد وعبد الله على المقهى المفضل لثلاثتهم، ولكن دون هواري كانت تقاسيم وجههم تبدي حزنهم جاء سمير وقال:
- هواري عامل ايه

قال له عبد الله:
- الحمد لله.. أدعيله ربنا يشفيه

قال سمير بصدق:
- يااارب.. إن شاء الله يقوم بالسلامة ويكمل قعدتكم.. تشربوا ايه بقى

قال أحمد:
- أنا مش هشرب حاجة.. أنا قايم
قال ذلك ونهض من مكانه، نهض عبد الله هو الآخر وقال:
- وأنا كمان مروح

وغادر الاثنان لم يجلسا كثيرا لأن هواري لم يكن معهم وافتقاداه كثيرا .. كان من الممكن من قبل أن يجلس اثنان دون الآخر ولكن الآن الوضع مختلف.

*****
دخل عبد الله بيته وجد بسمة شقيقته التوأم تشاهد التلفاز جلس جوارها وقال :
- عمر وأبوك ِ فين!
نظرت له بسمة قائلة:
- أبوك نايم وعمر تحت.. أجبلك تتغدى؟
- لا
قال ذلك وقام اتجه إلى حجرته
بعدها بدقائق أغلقت بسمة التلفاز وقامت بحثت عن كرة عمر حتى وجدتها أخذتها وذهبت إلى حجرة عبد الله فتحت الباب وجدته مستلقيا على سريره، فرمت الكرة عليه قام عبد الله غاضبً ا وقال:
- بسمة بطلي رخامة
فقالت بسمة:
- معلش العيال بيلعبوا كورة تحت وجت هنا
اعتدل عبدالله وجلس على السرير وقال ساخرا:
- بيلعبوا تحت ونطت في الدور التالت ومشيت في الشقة كلها، وفتحت باب أوضتي أنا بـ الذات وخبطتني دي عجائب الأقدار صح!
- ما أنت عارف بقى المؤمن دايما منصاب
ضحك عبد الله نصف ضحكة فقالت بسمة:
- ايوه كده ياعم أضحك بقى.. والله هواري إن شاء الله هيبقى كويس أصلي مش هسيبك تنام زعلان.. واستطردت وهي تجذبه : وبعدين ده مش ميعاد النوم أصلا قوم ياعم أ جبلك طبق بليلة لسه عملاها الاسبوع اللي فات
قال عبد الله وهو يشير إليها بسبابته:

- متأكدة إنك كده بتحاولي تبسطيني
قالت بسمة وهي تشير بسبابتها لأعلى:
- أهو بحاول ويكفيني شرف المحاولة
فمسك عبد الله الكرة من جواره وقذفها على بسمة التي ركضت نحو الباب.
*****

صعد أحمد سطح بيته كان الليل قد حل، فلم يطير الحمام جلس جوار عشته، وأسند رأسه عليها وظل يدعي ربه أن ينجي صديق عمره، فقد كانت اسوأ الاحتمالات تأتي في رأسه تذكر عندما كان جالسا يشكي لهواري همه، وقال له أن هناك أمرا يضايقه فقال له هواري مداعبا ليخرجه من حزنه:
- ايه غية الحمام وقعت
ابتسم أحمد ثم قال بصوت خافت:
- يا ريتها هي اللي كانت وقعت يا صاحبي.

*****

فتحت رحمة موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" لتاسع مرة ولم تجده نشطا تضايقت فلم تعرف لماذا غاب اليوم عن العمل ولماذا يختفي على "فيس بوك" تملكها القلق والملل، فخرجت جلست جوار أمها حتى باغتها النعاس ودلفت حجرتها مرة ثانية وقالت بصوت ناعس:
- يا رب خير

واستلقت على سريرها ونامت

*****

أعدت ريم كوبا من الشاي لأحمد وطرقت باب حجرته، كان مستلقيا على سريره ولكنه ليس غافيا فقال:
- أدخل

دخلت ريم وأضاءت الحجرة وقدمت الكوب لأحمد وقالت:
- بحسبك صاحي قولت أعملك شاي
- ما أنا صاحي

وقفت ريم مكانها صامتة فكانت تود أن تسأله عن حال هواري ولكنها ترددت وارتبكت فقال أحمد:
- عايزه حاجة ياريم!

تنحنحت ريم وقالت:
- لا مش عايزه.. محمد هواري عامل ايه دلوقتي
- الحمد لله الدكتور قال حالته بتبتدي تستقر

اومأت ريم برأسها وخرجت،

لامت ريم نفسها على سؤالها لأحمد عن هواري فزمت شفتيها وقالت:
- غبيية

ولكن فرحتها من تحسن هواري طغت على قلقها

*****

ذهب أحمد إلى عمله في الصباح دخل المكتبة وجد حسين ألقى عليه التحية، وجلس جواره فقال حسين:
- ما جتش امبارح ليه؟ ده أستاذ مجدي فضل يزعق

قال أحمد:
- كان عندي ظروف جامدة والله.. يبقى يخصم اليوم لو عايز
- مش حكاية كده هو كان عايزك تتصل تبلغه بس، ورحمة كانت قلقانة عليك جد ًا.

في تلك اللحظة دخلت رحمة، فقال حسين:
- أهي رحمة جت أهي

قالت رحمة:
- عاملين ايه

قال حسين:
- تمام

ونهض من مكانه وتركهم وانشغل في أمر آخر ليفسح لهم المجال للحديث بحرية

وقال أحمد:
- الحمد لله أنت ِ عاملة ايه

جلست رحمة قبالته وقالت:
- الحمد لله.. بس صوتك ماله؟ ومجتش امبارح ليه؟

قال أحمد بحزن:
- صاحبي في المستشفى حالته خطيرة

- ربنا يشفيه يا رب.. عنده ايه؟

قص لها أحمد ما حدث معه منذ أن سقط إلى أن نقل إلى مستشفى السيد جلال مرورا بـ المستشفى التي لم تقبله وتسببت في خطورة حالته

قالت رحمة:
- إن شاء الله هيبقى كويس.. أول ما يتنقل أوضة عادية قولي وأنا أخلي أخويا يوصيلك عليه أصله ليه زملا في المستشفى دي

- أخوك ِ دكتور ؟!
- آه اتخصص في الأورام وبقاله سنة ونص بيخترع عقار يقضي على السرطان نهائيا بإذن الله واسترسلت في الحديث قائلة:
- وقته كله للأبحاث والتجارب مبيقعدش معانا غير للأكل بس واستطردت في حزن كان بيحب زميلته وهما في الثانوي وماتت بالسرطان

قال أحمد:
- الله يرحمها

رفعت رحمة حاجبيها في دهشة وقالت:
- ايه ده! أنا حبيت أدخلك في مواضيع تانية تخرجك من الجو ده قلبتها غم أكتر، واستطردت : انسى كل اللي فات ده أقولك حاجة مبهجة؟!

ابتسم أحمد وقال:
- قولي

قالت رحمة وهي تشير على عنقها:
- امبارح كان اليوم خنيق ورخم.. والمكتبة كانت تنحة أوي من غيرك.

قال أحمد:
- تنحة! فين البهجة في كده طيب

زفرت رحمة وزمت شفتيها

ضحك أحمد وقال:
- عارف إنك عايزه تقولي إني وحشتك بس مش عارفة
ثم رفع أحد حاجبيه وقال:

طب ما انتي كمان وحشتيني على فكرة

ابتسمت رحمة ابتسامة خجل وقالت:

- وأنت رخم أوي على فكرة

قال مجدي وهو مكانه بصوت عال:
- يا احمد البضاعة جت

قال أحمد:
- شوفتي أهي البهجة جت لحد عندي

ضحكت رحمة ونهض أحمد من مكانه وقال:
-جاي أهو

*****

انتي زعلتي عشان الشيشة

قالها هواري بغير وعي وهو يستفيق فقدت تحسنت حالته وتخطى مرحلة الخطر ركضت الممرضة سريعا إلى الطبيب الذي يتابع حالة هواري وقالت له:
- المريض بدأ يفوق يا دكتور وعمال يتكلم

ذهب الطبيب إلى حجرة هواري وقاس له النبض فقال هواري:
- والله يا ريم أنا بشربها من زمان.. بس هحاول أبطلها عشانك

ابتسم الطبيب ابتسامة انتصار، ووضع يده في جيوب معطفه وخرج من الغرفة.

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد ورحمة من المكتبة، قال أحمد : انا هروح لهواري من هنا روحي انت بقى. قطب جبين رحمة فقال أحمد:
- خلاص بلاش التكشيرة دي هروح ونمشي أنا وعبد الله بدل ما يفضل يقولي ندل ومش ندل

فرحت رحمة وقالت:
- أيون كده.. كله إلا الندالة

ظلا يتحدثا حتى نزلا المحطة وكالعادة جلب أحمد التذكرتين وأعطاها تذكرتها ووقفا ينتظران المترو حتى جاء وصعد الاثنان، بعد محطتين خلا مقعد فجلست رحمة ووقف أ حمد قبالتها دق هاتفه فحدثه عبد الله وأبلغه أن هواري قد فاق وتخطى مرحلة الخطر وأ نه في انتظاره ليذهبا له سويا، فرح أحمد وأغلق معه، وقال لرحمة مسرورا:
- هواري فاق خلاص الحمد لله

قالت رحمة:
- الحمد لله اسمه ثلاثي ايه بقى وأنا أخلي حازم يوصي عليه

- محمد حسن هواري

- تمام

أشار لها أحمد بيديه وقال:
- هاتي موبايلك

أخرجته رحمة من حقيبتها وقالت:
- خد أهو ميغلاش عليك

قال أحمد مداعبًا:
- ميغلاش عليا ايه.. هو أنا هاخده خالص
- اتفضل يا عم التقيل

أخذه أحمد وكتب رقمه وضغط اتصال، فدق هاتفه فأعطاها هاتفها وقال ممازحا:
- استني بقى أما أشوف مين بيرن

ضحكت رحمة وقالت:
- والله دمك خفيف بس ما بتستخدموش للأسف
- سجلي الرقم بقى

ابتسمت رحمة وقالت:
- اعتبره اتسجل
- اشطة.. هبقى اكلمك النهاردة

قالت رحمة وهي سعيدة:
- ماشي هستناك

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- يلا سلام عشان نازل الجاية
- سلام

*****

ذهب أحمد وعبد الله إلى هواري في المستشفى، وجدا هواري قد انتقل من العناية المركزة إلى حجرة طبيعية وجواره أمه وأبوه وأخوه، وهو مستغرق في النوم، وذراعه الأيسر و ساقه اليسرى موضوعان في الجبس، ورأسه ملفوفة بقطن وشاش فألقيا التحية على أ

سرته وقال أحمد:
- ألف حمد الله على سلامته

قالت والدة هواري:
- الله يسلمك يابني

قال عبد الله:
- هو هيفوق امتى

قال رامي:
- الدكتور قال انه فاق النهاردة بس تقريبـ ًا كده نايم

قال هواري وهو في غير وعيه:
- ردي يا ريم

تغير وجه أحمد

فقال عبد الله:
- طب احنا هنمشي ونبقى نجيله لما يفوق بقى

قلق أن يقول هواري أكثر من ذلك، فقال والد هواري: تمشوا ايه يا بني انتوا لسه جاايين

وقالت أمه:
- اقعدوا ده ابتدى يفوق اهو

جاء الطبيب وقال:
- الحمد لله.. ربنا كتبله عمر جديد

قالوا جميعا:
- الحمد لله

فقال الطبيب اطراء للجو:
- أومال فين خطيبته من ساعة ما فاق ما بيقولش غير ريم ريم

ضغط عبد الله على أسنانه وأغمض عينيه، فقد زاد الطبيب الطين بله

قالت والدة هواري:
- هو بس يقولي عليها وأنا أخطوبها له.. إنشالله ماكلش ولا أشرب ده الواد كان هيروح مني

نهض أحمد من مكانه وقال:

- نستأذن احنا بقى اكيد عايزين تقعدوا معاه

وخرج دون أن ينتظر منهم ردا، ابتسم لهم عبد الله وقال:
- هنجيله تاني بكرة إن شاء الله

وخرج خلف أحمد وقال:
- استنى يا بني أنت.. بتمشي بسرغة ليه

قال أحمد بجدية:
- هواري يقصد ريم مين؟!

- معرفش وبعدين أكيد أي اسم أنت عارف هواري مش في دماغه حد

- لا مش أي اسم اشمعني اسم ريم؟ عبد الله لو في حاجه مخبيها عليا قولي

- يا بني هو مفيش غير أختك اللي اسمها ريم؟!
- أه مفيش غير ريم أختي.. عمره ماجه حكالي انه بيحب واحدة مع إنه كان باين عليه إنه بيحب فملهاش تفسير غير أختي.

- أحمد بطل عبط وشيل الأوهام دي من دماغك

قال أحمد:
- ماشي يا عبد الله بس لو عرفت إنك عارف حاجه ومخبي هتبقى في نظري زيه بالظبط خاين العيش والملح.

وجد عبد الله أنه لا مفر من أحمد سيعرف سيعرف فقرر أن يقول له الحقيقة وقال:
- أحمد هواري بيحب ريم أختك بس والله والله مابيكلمها خالص.

- وريم تعرف؟

- معرفش

وقف أحمد وقال وهو يهز رأسه :
- أنا هعرف تعرف ولا لا

ثم قال بانفعال وهو يطرق على الحائط:
- لو كان بيحبها كان جه خبط على أم باب بيتنا وقال يطلبها ولا هو شايفني ايه بالظبط أ ومال لو مكنتش صاحبه كان عمل ايه

قال عبد الله بقلق:
- احمد ماتكبرش الموضوع هواري مش خاين زي ما أنت شايف أنت أكتر واحد عارف إن

ظروفه ماكنتش تسمح وفي الفترة الأخيرة بقى بيطبق في الشغل عشان يخطبها، وأمه ق الت إنه أما يخف هتخطبله فمتكبرش الموضوع هواري لسه ماخفش وماينفعش تزعل منه في وقت زي ده
- لو حب اختك كنت هتقول كده

صمت عبدالله فقال أحمد:
- شوفت بقى
- شوفت ايه أنا ما تكلمتش أصلا .. هواري مأجرمش هو ولا مشي معاها ولا بيكلمها فون

قال أحمد باستهانة:
- انت كمان عايزه كان يكلمها فون ويمشي معاها!!! واستطرد :حبه ليها أصلا جريمة ازاي يبقى في بيتي ومستأمنه ويبقى بيبص لأختي باصة مش تمام؟ كده هو أصلا مش تمام

قال ذلك وغادر فلحق به عبد الله.

*****

فتح هواري عينه بصعوبة، وجد أمه وأباه وأخاه حوله، والصورة مشوشة، رأته أمه فتح عينيه، فابتسمت وأطلقت زغرودة.. رويدا رويدا فاق هواري وأدرك أنه في مستشفى وقال:
- ايه اللي حصل.. أنا في مستشفى صح ؟!

قالت أمه:
- ألف حمد الله على سلامتك يا حبيبي

وقال رامي:
- حمد الله على السلامة يا بطل.

وقال أبوه:
- حمد الله على سلامتك يابني

قال هواري:
- الله يسلمكم.. هو أنا هنا ليه؟

قال رامي:
- وقعت من على السقالة في الشغل من يومين وربنا كتبلك عمر جديد

سرعان ما تذكر هواري لحظة سقوطه وتجمع العمال حوله وغابت الصورة عن ذهنه عند ذلك

فقال:

- أومال أحمد وعبد الله ما جوش؟

قالت أمه:
- دول هما اللي بلغونا باللي حصلك، وكانوا هيموتوا من القلق عليك وجم من شوية مكملوش خمس دقايق ومشيوا

قال هواري:
- مقعدوش ليه

قال رامي:
- أنت كان قصدك ريم أخت احمد واستطرد وهو مغمض ً ا أحد عينيه ولا قصدك ريم مين!

هم هواري ان يعتدل فتألم وقال باهتمام:
- ريم ايه.. ايه اللي حصل؟!
- أصلك كنت عمال تقول يا ريم والدكتور جه قال إنك من ساعة ما فوقت وأنت بتقول ريم فأول ما أحمد سمع كده قام ماشي

أغمض هواري عينه وقال بضيق:
- يا لهوي

*****

طرق أحمد باب بيته بقوة، ففتح ياسين ودخل أحمد وقال بعصبية:
- فين ريم؟؟

قالت منار:
- جوه

خرجت ريم من حجرتها وهي تقول:
- في ايه ؟!!

أمسكها أحمد من شعرها وقال:
- ايه اللي بينك وبين هواري؟!

دمعت ريم وقالت بخوف:
- والله ما في حاجة

قال أحمد:
- أومال كنت قلقانة عليه ليه؟ وكل شوية تسألييني عليه وأنا من هبلي كنت بقولك أخباره

بتاخديني كوبري وأنا مش عارف

قال ذلك وصفعها على وجهها، أمسكت ريم وجنتها وظلت تبكي فخرجت عزيزة من المطبخ،

ركضت ريم إليها وارتمت في حضنها وهي تزداد في بكائها فقالت عزيزة:
- في ايه؟..ايه اللي حصل ياولاد بتزعق ليه يا احمد؟

مسك أحمد ريم وقال بانفعال:
- انطقي

قال كمال من حجرته بصوت مرتفع:
- في ايه يا أحمد؟ بتضرب اختك وأنا عايش ولا اكمني عاجز؟

جلس أحمد على مقعد بجواره وظل يستغفر ربه وركضت ريم إلى حجرتها وهي تبكي.

*****

ظلت رحمة منتظرة مكالمة أحمد ولم يتصل، فجلست تكتب خواطرها لتضيع وقت الا نتظار إلى أن نادت عليها صفاء وقالت:
- تعالي جهزي معايا العشا أبوك ِ جه

قالت رحمة:
- حاضر
ومشت خلفها إلى المطبخ ووقفتا يعدون الطعام.

قالت صفاء:
- محمد عزمي صاحب أبوك ِ عايز يجوزك لعلاء ابنه

قالت رحمة:
- مش هتجوز صالونات يا ماما ريحي نفسك
- هييجوا يتغدوا معانا يوم الجمعة وشوفوا بعض ودماغ بعض قبل أي كلام وقبل أي حاج ة
- وكده بقي مبقاش صالونات وبقى جواز سفرات؟ على أساس انهم هيقعدوا السفرة بقى وكده

قالت صفاء:
- مش فاهمة يعني انتي عايزه تتسرمحي الأول وتدوري علي حل شعرك مثلا

- ماقولتش كده

- أومال معنى كلامك ايه غير كده

- واحد يشوفني أعجبه ييجي يخطبني.. زميلي بقى في الشغل أي حاجة يعني

- طب اللي هييجي ده ممكن تعجبيه ويعجبك

- لا مش هيعجبني ده اسمه علاء يا ماما وفي ناس بتنطقه عيلاء يرضيك ِ ابقى مرات عيلاء؟

*****

في صباح اليوم التالي ذهب أحمد إلى العمل دخل المكتبة وجد رحمة، وحسين كان في المخزن يرتب أشياء فقالت رحمة مداعبة:
- صباح الخير يا كابتن ياللي مش قد كلامك.
ملمحة لأمر عدم اتصاله بها كما قال.
قال أحمد:
- صباح الخير

قطبت رحمة جبينها وقالت:
- مالك صاحبك لسه تعبان ؟! واستطردت : انا قولت لحازم وزمانه وصى عليه مش اسمه محمد حسن هواري برضه

قال أحمد بضيق:
- محمد زفت

قلبت رحمة شفتيها وقالت:
- ايه ده بقى إن شاء الله؟! امبارح كنت هتموت من القلق عليه وأول ماعرفت إنه فاق كنت طاير من الفرحة، والنهاردة مش طايقه في ايه ؟

تردد أحمد يقص لها أم لا صمت قليلا ثم نظر في عينيها وقال بهدوء:
- مفيش
- يا سلام والمفروض إني أصدق كده

جاء مشتر ٍ قامت رحمة لتبيع له فكان العمل الحقيقي يبتدأ من الساعة الحادية عشرة صباحا يأتي طلاب وتجار جملة ليبتاعوا، انهت رحمة مع المشتري وعادت إلى أحمد جلست جواره ونظرت أمامها وقالت:
- أحمد أنا لو فرضت نفسي عليك وأنت محروج تقولي صارحني وأوعدك مش هزعل

تفاجأ أحمد وقال:

- ايه اللي خلاكي تحسي الاحساس ده!!
- شكلك بيقول ان حصل حاجة كبيرة مضايقاك وبتقولي مفيش .. احنا لو مش هنشيل عن بعض ونخفف عن بعض تبقي علاقتنا ملهاش لازمة كان نفسي تيجي من نفسك تحكيلي اللي مضايقك ولو في مشكلة أحلها معاك ليه دايما بتحب تحمل نفسك فوق طاقتك؟

زفر أحمد في ضيق وقال:
- ينفع أحكيلك إن صاحبي بيحب اختي والدنيا كلها خربانة في دماغي ومش عارف اعمل ايه دي حاجة تتحكي!! مش عايزك بقى تقولي تاني كلمة فارضة نفسك عليا دي قولتلك أنا حبيتك من البداية قبل ماتقولي أي كلام وأنا كنت هحكيلك على فكرة بس اعرفي إن في حاجات عايزه لح منك عشان أقدر أحكيلك

قالت رحمة:
- أنا آسفة

- ماتتأسفيش
- طب احكيلي بقى زعلان ليه إن صاحبك بيحب أختك
رفع أحمد حاجبيه باندهاش وقال:
- ايه ده؟ هي حاجة تفرح!

- أه حاجة تفرح أنا لو صاحبتي حبت أخويا هفرح إن هنبقى نسايب ومع بعض وكده

قال أحمد ممازحا:
- والله شكلي حبيت واحدة عبيطة
- الحمد لله انك عرفت عشان ماتتفاجئش بعدين

ابتسم أحمد ثم قال بجدية:
- الموضوع مختلف يا رحمة صاحبي لو حب أختي من ورايا وما طلبهاش مني يبقى خاني

قالت رحمة:
- واختك بتحبه؟

قال أحمد بضيق:
- معرفش شكلها كده.. امبارح ضربتها ومعرفتش اتفاهم معاها واللي مزعلني اني ضربتها، أول مرة أضربها أصلا وكمان جرحت ابويا المريض الموضوع اتعقد

- اقولك حاجة بس متزعلش مني

- قولي
- ليه تقبل إنك تحب وأختك يبقى ممنوع عليها الحب، هو أنا مش أخت واحد برضه .. لو

اختك وصاحبك حبهم بريء وهو ناوي خير يبقى ما ينفعش تزعل وإلا هتبقى متناقض .. المطلوب منك دلوقتي تفهم الموضوع كويس وتشوف هتعمل ايه بالهدواة بعيدا عن التعصب والضرب، عشان الضرب بيعقد المشاكل مش بيحلها وكمان صاحبك في وقت محتاجك تبقى جنبه مش تزعل منه ولو بيحبها ييجي يخطبها

اقتنع أحمد بكلام رحمة وظلا يتحدثان حتى بدأ الناس يتوافدون على المكتبة وانشغل كل منهم في عمله.

*****

ذهب عبد الله وقت الظهيرة وحده إلى هواري في المستشفى، وجد أمه معه ألقى عليهم التحية وقال عبد الله:
- حمد الله على السلامة يا وحش

قال هواري:
- الله يسلمك

فقالت أمه:
- أومال أحمد مجاش ليه

قال عبد الله:
- في الشغل.. أكيد هيبقى ييجي روحي أنت ياخالتي أم محمد إن بقى وراكي حاجة تعمليها وأنا هقعد معاه

قالت والدة هواري:
- إن شالله يخليك.. ورايا حاجات كتير كنت لسه هتصل برامي

قال عبد الله:
- أنا في الخدمة يا خالتي ده محمد اخويا

قامت لملمت أشياءها وغادرت وتركتهم.

قال هواري فور خروجها:

- ايه اللي حصل أحمد عرف حاجة ؟!

- أه يا فالح.. قـ ـلت ريم وأنت بتفوق والزفت الدكتور هو التاني جه بهدل الدنيا أكتر وقال إنك من ساعة مافوقت ما بتقولش غير ريم

- طب وعمل ايه ؟!

- قعدت أقنعه إنك بتقول أي اسم ما صدقش وزعل مننا احنا الاتنين وشايفنا خاينين لحد ما قولتله الحقيقة .. بصراحة احنا غلطنا من الأول ياريتك يا أخي ما عرفتني هو عنده حق كنت تفهمه ظروفك على الاقل يكون ربط كلام ويكون عارف أحسن من كده ده زمانه روح نفخ ريم

قال هواري بحزن:
- هو ده اللي كنت خايف منه إن ريم تشيل الليلة وهي ملهاش ذنب.. أنا ما غلطش يا عبد الله

لو اترفضت كان هيبقى في حاجز بين صداقتنا ومكناش هنبقى مع بعض زي الأول ... أنا مش عايز أخسره يا عبد الله.. أنت عارف أنت وأحمد بالنسبه ليا ايه، انتوا اللي طلعت بيكو ا من الدنيا ما ينفعش أخسر حد فيكوا كلمه والنبي يا عبد الله خليه يجيلي وأنا هعتذرله وهفهمه كل حاجة عشان خاطره وخاطر ريم ماينفعش اخسر حد منهم

تأثر عبد الله وقال:
- أحمد مش ممكن يخسرك هو ممكن يزعل شوية آه لكن عمره ماهيفرط فيك انت مشوفتوش كان مخضوض عليك ازاي بس استنى لما يهدى وهو هيجيلك لوحده مش ممكن يسيبك في شدتك أحمد طيب وقلبه أبيض وأنت عارف
- أنا خايف على ريم.. أنت عارف كل حاجة من البداية أنا راعيت ربنا وحق صداقتنا ومكلمتهاش أنا خدت منها وعد بس تستناني.
- أنا قولتله كده .. قولتله إنك بتحبها بس ماكلمتهاش. واستطرد في مرح : شد حيلك أنت بس عشان تفك الجبس وتروح تخطبها ونفرح بقى ياهواري وربنا لنخربها

ابتسم هواري نصف ابتسامة ثم قال باستغراب:
- أومال أنت مش في شغلك ليه!

ضحك عبد الله وقال:
- اترفدت
- ليه! أنا حاسس إني كنت في غيبوبة من السنة اللي فاتت حاجات كتير حصلت في يومين
- أبدا ياسيدي كان في أوردر واتعطلت على كوبري اكتوبر من الزحمة وأصحاب الأوردر اشتكوني والمدير طردني.

وظلا يتحدثان كثيرا حتى جاءت والدة هواري.

*****

انتهى موعد العمل وغادر أحمد ورحمة وقفت رحمة عند محل بقالة وقالت:

- استنى

توجهت إلى المحل وابتاعت منه شيكولاتة وعادت إلى أحمد وأكملا سيرهم فأعطت أحمد الشيكولاتة وقالت:
- امسك صالح بيها أختك وافهم منها، شيكولاتة بابلي ومش هتاخد في إيدك دقيقتين مصالحة

أمسكها أحمد وقال مبتسمًا:
- ماشي

- هي اسمها ايه صحيح

- ريم هي في٣كلية دار علوم وفي منار في ٢ثانوي وياسين في ١اعدادي

قالت رحمة:
- وأنا عندي هدير في اولى آداب وحازم دكتور

واتجه الحديث إلى حياتهم الخاصة

*****

طرق أحمد الباب فتحت له عزيزة كانت ريم جالسة فقامت عندما جاء أحمد ودلفت حجرتها، سلم أحمد على أمه وإخوته واتجه إلى حجرة ريم، دلف وجدها جالسة على سريرها وقالت دون أن تنظر له:
- اقفل النور عشان هنام

زم أحمد شفتيه ومسح جبينه وقال:
- في حد ينام الساعة ٦المغرب!
- أنا

قالت ذلك واستلقت وجذبت الغطاء عليها
هز أحمد رأسه وقال:
- أه زعلانة يعني

صمتت ريم ولم تنبس ببنت شفة، فجلس أحمد على حرف السرير وقال:
- طب حطي نفسك مكاني وشوفي هتتصرفي ازاي ؟ رفعت ريم الغطاء عليها وجلست معتدلة وقالت:
- أنا ما عملتش حاجة غلط عشان تضربني
- يعني أنت مالكيش علاقة بيه!

صمتت ريم فقال أحمد:
- ردي

ثم قال مطمئنا إياها:
- قولي الحقيقة وأوعدك مش همد إيدي عليك ِ وآسف اني ضربتك امبارح والله غصب عني

قالت ريم دامعة:
- اطمن أنا مش ممكن أوطي راسك وأكلم صاحبك من وراك

ابتسم أحمد وقال:
- يعني مالكيش علاقة بيه!

قالت ريم وهي ما زالت تبكي:
- مرة كنت راجعة من الجامعة متأخر وفي اتنين كانوا عمالين يعاكسوني عند المستشفى محمد شافني وضربهم وهما جروا.. وبعدين فضل ماشي ورايا لحد ما جيت شارعنا يطمن عليا بحكم إني أخت صاحبه يعني ... ومشي صمتت ريم تلتقط أنفاسها

كان أحمد يستمع في اهتمام وأكملت
- بعدها بشهرين بالصدفة شافني كنت بجيب طلبات ومنار راحت تجيب حاجة وكنت مستنياها وواقفة جه قالي في حاجة قولتله لا أنا مستنيه منار فاجئني وقالي انه بيحبني وعايزني أستناه لحد ما يتقدم عشان ساعتها أنت كنت قايله على نادر قالي قولي موافقة ولا لا عشان عارف إن وقفتي دي غلط قولتله موافقة ومشي بس كده ومن ساعتها ما تكلمناش

مط أحمد شفتيه وقال بضيق:
- طب يعني ينفع انه يوقفك يقولك حاجة زي كده وأنا معرفش

- ما أنا لو كنت قولتلك كنت هتزعل منه

- طب كويس إنك عارفة إنه غلطان
- طب هو يعمل ايه ظروفه ماكنتش تسمح إنه يتقدم ساعتها وخاف أتخطب قال يعرفني يعني أنت لو حبيت واحدة وحسيت إنها هتتخطب هتعرفها ولا لا

تجاهل أحمد ما قالته وقال:
- يعني أفهم من كده إنك بتحبيه

صمتت ريم فقال أحمد بصرامة:
- بتحبيه ولا لا

لم تجبه ثانية فقال أحمد مرحا:
- يا هبلة أنا بسألك عشان لو بتحبيه أخليه ييجي يخطبك وهو مدغدغ كده وشبه كيس القطن.

ضحكت ريم ومسحت عبراتها بطرف أناملها فقال أحمد:
- يلا بقى قومي اعمليلي شاي

افتعلت ريم الضيق وزوت ما بين حاجبيها وقالت:
- ايه ده„ لا أنا لسه زعلانة

أخرج أحمد الشيكولاتة التي أعطته إياها رحمة من جيبه وقال:
- والله خسارة فيكي

أخذتها ريم من يده وقفزت من السرير وقالت:
- ياسلام ده أنت تؤمر يا أبو حميد.. أحلى كوباية شاي دلوقتي. واتجهت إلى المطبخ تعدها له.

*****

رأت عزيزة ريم خرجت من حجرتها سعيدة وأحمد خلفها فقالت:
- سبحان مغير الأحوال.. ربنا يهديكم ويخليكم لبعض

دخل أحمد حجرة أبيه كان نائم ًا فقام من ضوء المصباح الكهربائي، ذهب أحمد إليه قبل جبينه واعتذر منه على موقف أمس وقال:
- أسيبك تكمل نومك بقى ولما تصحى ابقى اطلعك بره ونقعد مع بعض كلنا، تصبح على خير

اومأ والده وقال:
- وأنت من أهل الخير.

أغلق أحمد مقبس الكهرباء وخرج وجد ريم أعدت للتو كوب الشاي أخذه ودخل حجرته جلس على سريره وأخرج هاتفه وهاتف رحمة.

*****

سمعت رحمة رنين هاتفها ركضت إليه وجدته أحمد اتسعت ابتسامتها وفتحت المكالمة وقالت:
- الو

قال أحمد:

- ايه يا رحمة

- عامل ايه ؟

- الحمد لله تمام انت ِ عاملة ايه ؟

- الحمد لله تمام طول ما أنت تمام

- رجعت ِ امتى؟

- من نص ساعة بس.. صالحت ريم ؟!

- أه طلعت بتحب هواري بس ما كنوش بيتكلموا.. بيحبوا بعض من بعيد بس

- الله بحب الجو ده.. زينا في الأول فاكر

- أه ياختي فاكر المعاناة
- يا سلام ما كنش باين أي حاجة.. أنا اللي كنت بعاني عشان معرفش أنت بتحبني ولا لا.. وبعدين تعاني ليه؟ ده أنا كنت مدلوقه عليك دلقة هباب وأنت عامل فيها عم التقيل
- والله من ساعة ما شوفتك وأنا بعاني ساعات كنت بحسبك مرتبطة بحسين وساعات كنت بقول هي من المعادي وأنا من السيدة وحاجات كتير

ضحكت رحمة قائلة:
- معادي ايه ياعم ده أنا ساكنة في فايدة كامل.. منطقة عادية مش صقر قريش يعني وبعدين حتى لو أنا ساكنة في قصر الإتحادية وأنت في حارة برضه كنت هحبك

قال أحمد مداعبًا:
- أه ما أنا زي دجاج كنتاكي لا أقاوم أنا عارف

ضحكت رحمة وقالت:
- بالظبط كده لا تقاوم.. هتروح لهواري امتى ده حازم وصى جامد عليه
- هروح بكرة إن شاء الله هستآذن من أستاذ مجدي قبل الميعاد بساعتين كده وأروح له عشان متأخرش عن مواعيد الزيارة

ظلا يتحدثان كثيرا، فكانت تلك المكالمة ثاني مهاتفة لهم منذ أن عرفا بعض، كانت الأولى لا تتعدى الدقيقتين عندما نسيت رحمة هاتفها معه.

*****

بعدما أنهت رحمة المكالمة خرجت من حجرتها جلست مع أسرتها إلى أن جاء أبوها واكتملت الأسرة، قال حازم مبتسما:

- عندي ليكم مفاجئة حلوة جدا

حثوه جميعا على أن يقول فقال:
- أنا حصلت على براءة اختراع من أكاديمية البحث العلمي

صرخت هدير ورحمة وصفقوا جميعا واسترسل حازم مكملا:
- كده مش فاضل غير إني أروح وزارة الصحة بكرة لتبني الاختراع وبعدين العقار يتصنع إ
ن شاء الله والسرطان يبقى مرض عادي زيه زي نزلة البرد

قال شاهين:
- خير إن شاء الله

وقالت صفاء:
- ربنا يكرمك كمان وكمان يا حبيبي.. أكيد ربنا مش هيضيع تعبك ومجهودك

قال حازم:
- تعبي ومجهودي دول مش هحس بيهم من ابتسامة أول مريض بعد الشفا إن شاء الله.

قالت رحمة:
- يا بختك يا عم مش متخيل كم الناس اللي هتدعيلك

وقالت هدير:
- ده غير إنك هتبقى حديث الساعة.. بقولك ايه يا زومة هي آداب تاريخ مابيطلعش منها
مخترعين

قال حازم ممازح ًا:
- بسؤالك ده تقريبا بيطلع منها متخلفين

فقالت هدير:
- طب ما في دكاترة متخلفين فاكره يا ماما لما الدكتور جبسلك رجلك غلط وطلعت ما
كنتش مكسورة أصلا ولا المريض اللي نسيوا في بطنه فوطة وخيطوا عليها اسكت يا عم
ده بتحصل بلاوي واليوتيوب بقى في كل حتة.

فضحكوا جميعا وقال حازم موجها كلامه لصفاء:
- انت كنت بتتوحمي على ايه في البت دي

*****

الساعة كام

قالها أحمد لرحمة في المكتبة نظرت رحمة في ساعتها وقالت:
- ٢ونص

قال أحمد:
- عايز استأذن بقى عشان أروح لهواري
- طب روح قوله

قال أحمد:
- ماشي وابقي استني ماتمشيش عشان بعد الزيارة هجيلك عشان أوصلك ونرجع مع بعض.

ابتسمت رحمة وقالت:
- ماشي ما تتأخرش

استأذن أحمد من مجدي وسمح له وغادر المكتبة وذهب إلى المستشفى

*****

نزل رامي يبتاع احتياجات لهواري وقال له هواري قبل أن ينزل أن يقوده بالمقعد المتحرك أمام نافذة الحجرة، ظل ينظر من النافذة في شرود فوجد يدا وضعت على كتفه من الخلف حاول أن يلف رأسه لكنه تألم فقال أحمد:
- معرفتنيش من ريحة البرفيوم حتى

قال هواري متفاجئا:
- كنت عارف بس كدبت نفسي

قاده أحمد بالمقعد تجاه السرير وساعده على الاستلقاء عليه وجذب مقعدا آخر وجلس قبالته وقال:
- رغم إنك ندل وأنت عارف بس مكنتش أعرف إنك هتوحشني بسرعة كده

قال هواري:
- حقك عليا يا صاحبي و والله أول ما أفك الجبس هاجي أتقدم لريم أنا كلمت أمي وأبويا ووافقوا

قال أحمد مداعبا:
- هو ده اللي هيحصل ومش بمزاجك أصلا أنت اتدبست خلاص واللي انكسر لازم يتصلح

ضحك هواري وقال:
- أحلى تدبيسة والله

قال أحمد مداعبا:

- ماخلاص يابني انت هتسوء فيها ولا ايه دي أختي
- آسف يا اسطى

*****

رأت رحمة حسين جالسا في أحد أركان المكتبة شاردا ويبدو عليه الحزن فذهبت إليه وقالت:
- مالك يا سحس

قال حسين:
- منى هتتخطب.

شهقت رحمة وقالت متلعثمة:
- ليه.. قصدي إزاي مش كنت بتقول إنها باين إنها حبيتك
- أه كان باين إنها حبتني بس أنا ما قولتلهاش حاجة وواحد جاهز اتقدم وعمي ومراته موافقين عليه واقنعوها بيه وهي ماينفعش تستنى واحد لسه مكونش حاجة ولا حتى ق الها حاجة.. ربنا يتململها على خير هي مش عليها لوم

قطبت رحمة جبينها وقالت بحزن:
- طب كنت قولها يا حسين أنت بتحبها من سنين حرام تسيبها تضيع منك
- قولتلك كذا مرة ماكنش ينفع إني أقول وأنا بدخل بيتهم.. وكمان لسه قدامي تلات أربع سنين على ما ابقى جاهز اقولها تستناني لو فاضلي سنة مثلا إنما أقولها وهي على وش جواز استنيني أربع سنين!! ده أنا كده أبقى بجح

*****

دخل عبد الله وجد أحمد جوار هواري يضحكان فقال:
- الله الله.. بقى أنا قاعد في البيت أشوف حلول لمصالحات ومعاهدات دولية وشروط جزائية وأحكام ليكوا انتوا الاتنين وسايب الماتش وانتوا هنا بتضحكوا وزي السكينة في الجاتوه
جذب مقعد ًا جلس عليه وهو يستطرد : أقول ايه بس

ضحك هواري وقال:
- ما تقعد بقى الله يحرقك انت بتفكره تاني ليه

قال أحمد:
- خلاص يا سطى حصل خير. واستطرد موجها حديثه إلى عبدالله :
- بقولك ايه ما تيجي نسيب هواري في الجبس ونروح نتفرج على الماتش

قال عبد الله:
- والله يا ريت

قال هواري:
- أنا ولا الماتش يا رجالة

فقال أحمد وعبدالله في آن واحد:
- الماتش طبعا

وضحك الثلاثة فجاء رامي رفع يديه الاثنين وهو يقول:
- الحمد لله أصحابك معاك أهم.. أروح أتفرج على الماتش تحت على القهوة أنا بقى

قال هواري:
- حتى انت يا رامي! في ايه يا اخوانا ده انا لو بجنيه لب مش هتعملوا معايا كده

قال أحمد موجها حديثه لرامي:
- خد يا بني هنا أنت مش زملكاوي؟ عايز تتفرج على الماتش ليه

قال عبد الله:
- اكيد عشان يشمت

قال هواري:
- وكل مرة أنا اللي بشمت فيه أصلا وبرضه ما بيحرمش

فضحك الثلاثة وقال رامي وهو متجه نحو الباب:
- انتوا هتتكاتروا عليا ولا ايه.. لا أنا أنزل أحسن. خرج ثم عاد أطل برأسه لهم وقال: يارب تتغلبوا ٣/ ٠ . وركض مسرعا

فقال هواري:
- يلا ياض من هنا

*****

بعد انتهاء الزيارة أثناء مغادرة أحمد وعبد الله قال أحمد:
- ماروحتش الشغل النهاردة ولا ايه؟
- هو أنا ماقولتلكش.. مش أنا اترفدت

قص له عبد الله ما حدث معه وقال:
- الواد مصطفي بنزينة قالي على سفر وبفكر في الموضوع ده.. والله البلد دي لو قعدت أ شتغل فيها عمري كله مش هعرف أجمع قرش يعيشني عيشة نضيفة

- سفر ايه يا بني! هتروح فين وهتشتغل ايه

- هسافر إيطاليا عن طريق البحر وهشتغل أي حاجة هناك

قال أحمد باستنكار:
- هتشتغل بتغسل أطباق ولا بتمسح عربيات ... شيل الفكرة دي من دماغك يا عبد الله البهدلة هنا وسطينا أحسن ما تتبهدل لوحدك في الغربة,, غير كده سفر البحر ده خطر جد ًا ومش قانوني كمان، ما ينفعش أنا مش موافقك في الرأي ده
- ياعم العمر واحد والرب واحد وفكك من قانوني ومش قانوني دي ما تتكلمش بشهادتك اللي مرمية في البيت وملهاش أي تلاتين لازمة.. أنا هروح أشتغل هناك سنة ولا سنتين وأ رجع أعيش ملك أحسن ما أعيش هنا طول عمري مذلول

قفز عبد الله في أتوبيس نقل عام صعد وقال لأحمد:
- اركب يا بني

قال أحمد:
- لا أنا رايح الفجالة عشان أوصل رحمة قايلها تستناني.. كان الاتوبيس قد ابتعد عنه فأعل ى صوته وقال:
- هبقى أجيلك على القهوة بالليل نكمل الموضوع
- ماشي هستناك هناك

*****

وصل أحمد إلى المكتبة الساعة الخامسة وخمس دقائق دخل وجد رحمة تنظر في ساعتها فقال:
- خلاص أنا جيت اهو

نظرت له رحمة مبتسمة أمسكت حقيبتها ونهضت وخرج الاثنان من المكتبة وقالت:
- عندك خمس دقايق تأخير ياكابتن

قال أحمد مداعبـ ًا:
- بعترف ولذلك أرجو بتخفيف العقوبة على موكـ ّلي اللي هو أنا يعني

ضحكت رحمة وقالت:
- خلاص حكمت المحكمة اللي هو أنا يعني بالعفو عنك
واستطردت بجدية: ليه مفكرتش تفتح مكتب وتشتغل محامي

ابتسم أحمد نصف ابتسامة وقال:
- محامي ايه يا بنتي ده المحامين بقوا أكتر من المتهمين.. أنا طموحي كان أكبر من كده

كان نفسي أبقى قاضي بس معنديش واسطة وأبويا قبل ما يطلع معاش كان موظف بسيط .. بس فما ينفعش يعني

- باباك طالع على المعاش من زمان

- لا ده طالع معاش مبكر عشان ظروف مرضه

- هو مريض بإيه

- فيرس سي

- بس اعرف ناس كتير بالمرض ده وكويسين

قال أحمد بحزن:
- اكتشف المرض متأخر وكمان العلاج تعب له الكلى والطحال.. ووقع قبل كده جاله كسر في الحوض يعني حاليا هو قعيد مش بيمشي وما ينفعش يعمل عمليات عشان حالته ما تسمحش
- ربنا يشفيه ويعافيه ويخليه ليكم يا رب

قال أحمد:
- اللّهم امين.. اصبري بقى أروح أجيب التذاكر

ذهب أحمد يجلب التذاكر مسرعا وأول ما ابتعد مسح دموع حبيسة على ذكر حال أبيه وعاد إلى رحمة ووقفا في انتظار قدوم المترو.

*****

عادت رحمة إلى البيت فتحت لها هدير دون أن تنطق بكلمة، ووجدت صفاء جالسة متربعة يبدو عليها الحزن، فقالت رحمة باستغراب:
- مالكم

قالت هدير:
- وزارة الصحة رفضت تبني اختراع حازم

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- ليبه ؟! مش خد براءة اختراع من أكاديمية البحث العلمي

قالت هدير:
- رفضوا.. وفضل يقنع المسؤولين في الآخر قالوله يعرض الموضوع علي جامعة القاهرة.

قالت رحمة:

- تمام لسه الأمل موجود

تدخلت صفاء قائلة:
- ده كلام بيقولوه عشان يسكتوه.. كأنه واحد من الشارع مش دكتور تعب وسهر ليالي وشهور.. واحد من المسؤولين قالهاله على بلاطة مفيش فلوس لتمويل الأبحاث والا اختراعات.

قالت رحمة:
- أومال فين حازم

قالت صفاء:
- في أوضته ادخلي هو ّتي عليه شوية

اتجهت رحمة نحو حجرته وطرقت الباب وانتظرت إذن الدخول، فطرقت الباب ثانية وقالت:
- يا حازم

كان حازم جالسا على سريره ودموع القهر في عينيه، يمسك بصورة في يده، مسح دموعه بأطراف أصابعه وازدرد ريقه وقال متماسكً ا:
- معلش يا رحمة مش عايز أتكلم مع حد دلوقتي

نظرت رحمة إلى الأرض وزمت شفتيها، واتجهت إلى غرفتها فقالت صفاء:
- ربنا يجبر بخاطرك ويفرحك يا بني

*****

نظر حازم لصورة ميرنا تلك التي كان يحبها وتحبه أيام مراهقتهم، كان قد أحبها بكل جوارحه واستنفذ كل مشاعره لها، لذلك عندما ماتت قرر أن يوهب حياته في البحث عما قتلها ليأخذ بثأره منه وينهيه من الوجود، ذلك السرطان اللعين الذي لا يترك أي جسد يلتصق به. قال ناظرا إلى الصورة والدموع تسقط من عينيه:
- سامحيني يا ميرنا مقدرتش أنفذ وعدي وأقضي على السرطان زي ما قولتلك بس والله أ نا عملت كل اللي أقدر عليه وزيادة بلدي هي اللي ما قدرتنيش.

صمت قليلا وأخذ نفسا عميقا ثم استطرد :
- كان نفسي يبقى مفيش مريض سرطان على وجه الأرض عشان محدش يتوجع على حد بيحبه زيي.. موتك كسرني أوي يا ميرنا ... أنا مش عارف أشوف غيرك في الدنيا أنا محاولتش أشوف غيرك أصلا بقى عندي ٢٩سنه سبتيني من ١١سنة ولسه مش مقتنع إنك سيبتيني أنا تعبت أوي والله. حتى ماما كل شوية تقولي على عروسة أخطبها وأنا بقولها لا

مش دلوقتي.

ابتسم ابتسامة واهنة وأكمل قائلا : أصلي ما قولتلهاش إني مش ناوي أتجوز ومستنيكي زوجة ليا في الجنة ... سامحيني عشان معرفتش أنفذ وعدي ليكي بس أوعدك تاني إني مش هيأس وهقدم الاختراع ده لبلد تانية وهسيب مصر كلها عشان بس العقار يتصنع قال ذلك وضم الصورة إلى صدره وظل يبكي بحرقه فقد رأى حلم حياته يتحول إلى كابوس أ مام عينيه ومجهود أيام وسهر ليالي كثيرة قد ذهب سدى.
الأسوأ من انهيار أحلامك أن تنهار معها وعودك

*****

يعني عايز تقنعني إن هنا مفيش بهدلة

قالها عبد الله لأحمد أثناء جلوسهم على المقهى.

فقال أحمد:
- ما قولتش كده بس هناك بهدلة وهنا بهدلة يبقى البهدلة في بلدك أحسن من الغربة

- لا هناك بيعاملوا الانسان على إنه إنسان مش ترس في مكنة أو حيوان

- نفسي أفهم مين مفهمك الكلام ده.. يابني أنت عربي وكمان مسلم وهما عندهم عنصرية يعني هناك هيتعاملوا معاك على إنك إرهابي
- ما تحاولش أنا جبت أخري وزهقت وخلاص خدت قرار وأنت عارف صاحبك أما بيصمم على حاجة

قال أحمد:
- يابني أومال أنت لو مكاني كنت عملت ايه الحمل كله عليا
- وأنا مش هستني لما أبقى زيك أبويا يجيله مرض ومعرفش أعالجه قالها عبد الله دون أن ينتبه أو يقصد جرح مشاعر صديقه

فأغمض أحمد عينيه وفتحها وقال بحزن:
- ربنا يديله الصحة وما يجيلوش أي أمراض.

انتبه عبد الله وقال مصححًا:
- مش بتكلم عنك.. أنت عارف يا أحمد إن أمي ماتت بالسكر وساعات مكنش بيبقى معانا تمن علاجها
- ما تضايقتش كلامك صح أنا فعلا مش عارف أعالجه في مكان كويس

قال عبد الله:

- يا بني والله ما أقصد كده.. أنا قصدي إن لو أبويا تعب أنا مش هعرف أعالجه

صمت الاثنان فقطع ذلك الصمت عبد الله وقال ملطفًا للجو:
- مش البت ساره شافتني امبارح مع ولاء وجت شردتني الله يحرقها.. واتخانقت هي وولاء وشتموا بعض

ضحك أحمد رغما عنه وقال:
- وحصل ايه

- معرفش سيبتهم ومشيت حاسس إنهم ضربوا بعض أصل الاتنين شلق

- يا بني اتلم بقى وركز في واحدة بس

- أركز ايه يا عم.. دي بنات عايزه الحرق

- أومال مصاحبهم ليه؟!
- أي واحدة بصاحبها بتكون عارفة إنها بتضيع وقت وخلاص وأول ما يتقدملها واحد جاهز تقولي آسفة أنت تستاهل واحدة أحسن مني. واستطرد :
- فاكر البت ريهام اللي شوفتها معايا قبل كده؟ لما جت تتخطب بتقولي آسفة ياعبد الله أنت تستاهل واحدة أحسن مني قولتلها أحسن منك ايه يابنت الجزمة انتي مصدقة نفسك قالتلي يلا ياحيوان ياسافل

قال الأخيرة وهو مقلدا لصوتها.

ضحك أحمد واتبع عبدالله مكملا حديثه
- يعني هما بيبقوا عارفين وبيقضوها وأنا كذلك واشطة يعني

قال أحمد بجدية:
- يا بني السكة دي أخرتها وحشة خاف على أختك بسمة أو مراتك أو بنتك اللي لسه في علم الغيب أنت مكنتش كده ياعبد الله.. ايه اللي جرالك ايه اللي حولك من شاب مستقيم لشاب ضايع أنا من زمان وأنا نفسي أقولك الكلمتين دول وجه وقتهم

ضحك عبد الله نصف ضحكة وقال بوهن:
- عشان كل حاجة بقيت عك في عك.. من أول حال البلد للأهالي اللي بيطلبوا مهر وشقة وعفش ودهب وطلبات تعجيز.. لأفلام السبكي للبس البنات وأنا شاب عادي مش سيدنا يوسف، قولي ازاي يبقى حواليا كل ده وعايزني أبقى نضيف
- لا يا عبد الله كان كله عمل زيك كده ورمى حجته على الظروف اللي حواليه اعمل حساب لأخرتك حتى يا أخي

قال عبد الله:
- أنت يا أحمد اللي مثالي زياده عن اللزوم

نظر له أحمد وقال:
- أنا مش مثالي أنا بحاول على قد ما أقدر ما اعملش حاجة غلط عشان في أخرة يعني حساب وعندي اخوات بخاف عليهم
- أنت فاكرني مبسوط كده يعني.. عشان كده بقولك هسافر هسيب الماضي كله وارجع ابدأ صفحة جديدة على نضيف وأرجع وأنا ليا قيمة مش كل شوية أشتغل عند حد واتهان اللي يرفدني واللي يديني ملاليم وعلى ايه ... أنا أتغرب وأتمرمط سنة أو سنتين وأجي أعيش ملك

قال أحمد يائسا:
- براحتك يا عبد الله بس صدقني اليوم في الغربة هيعدي عليك بسنة والمرمطة هناك مش هتبقى زي هنا على الأقل هنا لما الدنيا تضيق عليك هتلاقي صاحب تشتكيله أو أختك تحكيلها

قال عبد الله:
- معايا ربنا اللي أحسن من أي حد وهشتكيله.

*****

تعافى هواري تماما بعد عشرة أيام قضاها في المستشفى واثنين وعشرين يوما في منزله، وكان اليوم ميعاد فك الجبس عنه فنادى على أمه وقال:
- ماما

لم تجيبه نهلة فكرر نداءه بصوت مرتفع:
- ماماا ا !

جاءت نهلة من المطبخ وقالت:
- عايز ايه يا زفت؟

قال هواري مداعبـ ًا:
- زفت! الله يرحم أما كنت في المستشفى كان يا حبيبي ويا قلبي ويا نور عيني و يا صوابع رجلي

ضحكت نهلة وقالت:
- طب عايز ايه يا صوابع رجلي
- هاتي سكينة ومقص عشان أفك الجبس

- لا هنروح نفكه عند الدكتور

رفع هواري أحد حاجبيه وقال:
- بقى أنا هواري عم المنطقة أروح أفك الجبس عند دكتور!! وكمان أخد امي معايا روحي يا أما قطعي البصل روحي

اتجهت نهلة إلى المطبخ وقالت:
- بتستعر من أمك يا روح أمك
- وأنا أقدر.. ده انتي الحتة الشمال والنعمة

جاءت أعطته المقص والسكينة وقالت:
- أمسك يا فالح ورينا عم المنطقة

أخذهم هواري وظل يحاول حتى فك جميعها ونهض ببطء وفرد ذراعيه واستنشق الهواء، وهو يقول:
- أخير ًا ده أنا حاسس إن جالي شلل رعاش من القاعدة

قالت نهلة محذرة:
- شوف مش هتنزل الشارع يومين لحد ما أيدك ورجلك يرجعوا لطبيعتهم .. ده كلام الدكتور

أعطاها هواري المقص والسكين وقال:
- هو الدكتور ده كلامه قرآن يعني وبعدين ما تقلقيش ابنك خفاش

قالت نهلة مداعبة:
- الخفاش ده وقع من على السقالة كان هيروح فيها وقعد شهر وشوية في الجبس

- وبعدين بقى هنقضيها قصف جبهات ولا ايه؟! واستطرد :

- هروح أخطب الاسبوع ده جهزي نفسك بقى

قالت نهلة:
- مش لما أروح أكلم أم سمر الأول

- طب قومي البسي وروحي كلميها بقى

- بكرة ما تسربعنيش

قبل جبينها وقال:
- لا النهاردة وحياتي عندك

ابتسمت نهلة وقالت:
- ماشي يا مثبتني هروح لهم بعد العِشا

*****

بعد محاولات حازم المضنية لإقناع وزارة الصحة لتبني الاختراع وتصنيعه، ظلت المهاترات العلمية دائرة، وحاول حازم بكل ما أوتي من قوة إقناعهم بأن المرض استفحل في العصر، وأنه يريد أن يفيد بلده ولكن كل ذلك دون جدوى، فنشرت قصته وانهالت عليه عروض أمريكية وأوروبية لتبني العقار من كبرى شركات الأدوية هناك، ودرس جميع العروض حتى استقر على عرض سويسري لشركة أدوية عالمية، وجد العرض مناسبا وسافر إلى سويسرا في مدينة بازل لتحقيق حلمه في أن يقضي على السرطان وتنفيذ وعده لميرنا.

*****

جلس أحمد جوار رحمة في المكتبة وقال:
- يعني هتفضلي زعلانة كده

أشاحت رحمة وجهها عنه وقالت:
- اه ومالكش دعوة بيا بقى ممكن
- طب يا رب أموت لو ما بطلتيش زعل

نظرت له رحمة وقالت:
- بعد الشر إياك تقول كده تاني

نظر أحمد في عينيها وقال:
- طب خلاص بقى والله مش هعلي صوتي عليك ِ تاني

نظرت رحمة إلى الأرض وصمتت

قال أحمد:
- قولتلك والله كنت متضايق عشان الحمامة اللي ماتت كنت بحبها أوي والله

قلبت رحمة شفتيها وقالت:
- كنت بتحبها!

- آه

- وكمان بتقولها في وشي

- يا بنتي هو أنا بقولك بنت الجيران دي حمامة

- مادام فيها تاء تأنيث يبقى هغير جيب واحد حمام غيرها بقى

ضحك أحمد وقال:
- واحد حمام! والله أنا اتأكدت دلوقتي إني بجد حبيت واحدة عبيطة وبعدين أصلا اسمه فرد حمام وهجيب ازاي دكر للدكر يعني انتي مدركة اللي انتي بتقوليه ده انتي عارفة انت كده بتشجعي على ايه ؟

- على ايه

- على الرزيلة طبعا ... افرضي فرد منهم حب يشوف موقفه من الجيش

- خلاص يا عم الروش

جاء حسين صفق بيده وقال:
- معلش هقطع عليكم الحوار الجميل ده. وأردف موجه ًا حديثه لأحمد :
- يلا ياحاج عشان نفضي المخزن

قالت رحمة موجهة حديثها لأحمد:
- كمل معاه بقى الحوار الجميل. واتبعت : عزيه يا حسين عشان عنده فردة حمامة ماتت كان بيحبها أوي

قال حسين باستغراب:
- فردة حمامة! أنا مش فاهم حاجة.

نهض أحمد وأحاط رقبة حسين بذراعه وقال:
- تعالى أنا هفهمك الحوار الجميل.

*****

الو أيوه يا حازم عامل ايه وحشتني أوي يا حبيبي

قالتها صفاء أثناء مهاتفتها لحازم

قال حازم:

- الحمد لله يا ماما تمام انتوا كلكوا عاملين ايه؟ بابا وهدير ورحمة كويسين
- كلهم كويسين وبيسلموا عليك أنت عامل ايه في الغربة لوحدك؟ بتاكل كويس وتنام كويس

كانت هدير جوارها، حاولت أن تجذب منها الهاتف وهي تقول:
- إديني بقى أكلمه

قال حازم:
- الحمد لله استقريت النهاردة في شقة كويسة تبع شركة الأدوية

- الحمد لله ابقى طمني عليك كل يوم وقولي الجديد أول بأول عن تصنيع العقار

- حاضر

جذبت هدير الهاتف وقالت:
- أيوه يا حازم عامل ايه

- الحمد لله يا هدير انت ِ أخبارك ايه

- الحمد لله تمام وكلنا تمام مش ناقصنا إلا وجودك

- رحمة جت ولا لسه في الشغل

- لسه في الشغل

- ابقي سلميلي عليها وعلى بابا

- حاضر

- خدوا بالكم من نفسكم
- حاضر إن شاء الله
- يلا مع السلامة

- مع السلامة

لكزتها صفاء في كتفها وقالت:
- بتقفلي ليه ملحقتش أكلمه

أمسكت هدير كتفها وقالت:
- هو قال مع السلامة أقوله لا ما تقفلش وبعدين دي مكالمة دولي مش عرض مجاني هو
- طب قومي بقي ذاكري أو اعملي معايا الأكل عشان رحمة زمانها جاية

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد ورحمة من المكتبة، قال أحمد:

- حددنا خطوبة ريم الجمعة الجاية إن شاء الله عقبالنا

قالت رحمة:
- يااارب.. ربنا يتمملهم على خير

- يارب

- والجواز هيبقى بعد قد ايه بقى
- سنتين أكون دخلتلها جمعية اقبضها وأدفعهم مقدمة وأجبلها كل اللي هي عايزاه قسط

- ربنا يقدرك وتجبلها أحسن حاجة

قال أحمد:
- يا رب. واتبع في حزن :
- أنا خايف أوي يا رحمة

قالت رحمة باستغراب:
- خايف من ايه!!
- خايف أظلمك معايا أنا مش ضامن ظروفي وخايف تزهقي مني وما تستنينيش.

قالت رحمة:
- انا عمري ماهزهق أنا قولتلك عندي استعداد أستناك العمر كله شيل الأفكار دي من دماغك

- بس أنا خايف كده أكون بظلمك
- لا مش بتظلمني أنت قولتلي ظروفك من أول وأنا راضية بيها ما لكش أنت دعوة روح هات التذاكر بقى.

جلب التذاكر وعاد إليها ووقفا على الرصيف ينتظران قدوم المترو.

*****

انطلقت الزغاريد وعلت أصوات الغناء الشعبية مساء يوم الجمعة من منزل أحمد، فاليوم موعد خطبة ريم وهواري كان حفلا بسيطا، جمع الأهلين والجيران كان الكل سعيدا ويبارك للعروسين، وبعد انتهاء الحفل غادر الجميع عدا هواري وسمر وأولادها، جلس هواري جوار ريم ووضعت لهم سمر طعام العشاء في حجرة استقبال الضيوف وجلس أحمد معهم

تناول الطعام الثلاثة وجلسوا يتجاذبون أطراف الحديث فقال هواري:
- منور يا أبو نسب والله

قال أحمد مداعبـ ًا:

- عرفت إني منور والله.. دي تالت مرة تقولهالي ريح نفسك مش هقوم

ضحكت ريم وقال هواري:
- أشكو إليك

نهض أحمد ورفع أحد حاجبيه وقال:
- دلوقتي أشكو إليك شوية شوية وهلاقيك بتتحسبن في وشي أنا خمس دقايق أو أقل هدخل أعمل كوباية شاي وأجي عشان محدش بيعرف يظبطها غير ريم أصلها الصبي بتاعي هنا بدل سمير بس النهاردة فريه عشان عروسة.

قال هواري:
- طب اعملي معاك كوباية ياسطى

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- ولا أعرفك خمس دقايق بالظبط وجاي

خرج أحمد فقال هواري:
- يا ساتر على أخوك ِده لزقة انجليزي

قالت ريم بخجل:
- ما تقولش عليه كده
- مش هجيب سيرته أصلا هو الشوية اللي هيمشي فيهم كمان هنتكلم عنه لا ده كده كتير

- عندك اعتراض مثلا

- لا طبعا وبعدين بصيلي وأنا بكلمك

- أنا أصلا مخصماك ومش بكلمك

قطب هواري جبينه وقال:
- ده الكلام اللي بيتقال بجد بقى

قالت ريم باستغراب:
- هو ايه ده اللي بجد!

- انكوا صنف نكدي وكده

- لا والله

- اه والله.. طب أنا عملت ايه بقى عشان تخاصميني واحنا لسه بنقول يا هادي
- ايوه استهبل واعمل نفسك مش عارف بقى

- وحياة عيونك الحلوة دي اللي ما عرفش هما حقيقيين ولا لنسيز انا معرفش أنت بتتكلمي عن ايه
- أنت أهبل يالا؟!
- مش متأكد
- نعم! ازاي يعني
- يعني ساعات أمي في البيت بتقولي يا أهبل وساعات يا زفت وساعات يا حمادة فمش عارف
قالت ريم متصنعة السخرية:
- حمادة!! وأنت ازاي تخبي عني حاجة زي كده .. أبوك ليه ماعرفناش في الاتفاقات إنك أ هبل وإنك اسمك حمادة
- انت طلعت ِ غلسة على فكرة أنا كنت فاكرك رقيقة وأبوك ِ وأخوك ِ هما كمان ماجبوش سيرة الغلاسة في الاتفاقات
- خلاص كده خالصين أنت طلعت أهبل وأنا طلعت غلسة
- اشطة جدا ممكن تقولي بقى زعلانة ليه!
- عشان الشيشة اللي بتشربها

دخل أحمد ممسك بيده كوب الشاي وقال:
- اتأخرت

قال هواري:
- وحياة امك!

نظرت ريم باندهاش إلى هواري فقال لها:
- ايه! صاحبي

*****

مبروك يا هواري مرتين المرة الأولى على الشفا والمرة التانية على الخطوبة

قالها سمير وهو يضع مشروبات الثلاثة على الطاولة

ابتسم هواري وقال:
- الله يبارك فيك يا سمير عقبالك.. لما تخطب مش تتكسر وتفك الجبس يعني، ضحك سمير وقال:
- يارب وتركهم.

أكمل أحمد بقية حديثه وقال موجها حديثه إلى هواري:
- شوفلك حل معاه يا عم أنا جبت أخري في إقناعه وافتكرته نسي لقيته بيقولي النهاردة إ

نه هيسافر الأسبوع الجاي.

قال هواري موجها حديثه إلى عبد الله:
- أحمد معاه حق في كل حاجة هتروح تتذل هناك أوسخ من هنا وهتغسل أطباق وتمسح عربيات ده إذا وصلت أصلا دي مخاطرة كبيرة لحياتك واحنا مش هنسيبك ترمي نفسك كده

قال عبد الله:
- يا جدعان ما تحاولوش، السفر الأسبوع الجاي خلاص أنا بعت حلق بسمة واتصرفت في شوية حاجات كده وكله تمام أنا بس كنت مستني لما أنت تخف وتخطب وبعدين أسافر وهسافر ورزقي على الله واللي مكتوب له حاجة هيشوفها

قال أحمد:
- طب أقعد يا عبد الله عشان خاطرنا هو احنا مش هنوحشك ولا حتى بسمة لو مش هنوحشك أنت هتوحشنا يا أخي قاعدتنا ما بتكملش إلا بلمتنا كلنا.

قال عبد الله:
- والله انتوا أكتر ناس هتوحشوني .. وبسمة دي أكتر حاجة شايل همها ولسه بحاول أقنع فيها لحد دلوقتي بس أنا خلاص بجد تعبت وجبت آخري وطالما هنا بهدلة وهناك بهدلة يبقى بهدلة اليورو أحسن ولا ايه؟
قال الأخيرة وهو يضغط بإبهامه على سبابته

صمت هواري وأحمد ولم يجيباه فقال عبد الله:
- هنبقى مع بعض فيس وواتس على طول اشطة

نظر له الاثنان وظلا في صمتهم

تلك الخطوة التي عزم عليها تؤرقهم حاول الاثنان بكل ما أوتيا من قوة أن يرجعاه عنها ولم ينجحا، كان عبد الله مصمما على رأيه فقد أرهقه كل شيء وصور له سمسار الهجرة غير الشرعية أن الغرب جنة سيجد فيها ضالته، لذلك فشلت كل محاولاتهم في إقناعه في البقاء معهم

*****

كانت الساعة الثامنة والنصف صباحا قبل بدء العمل الحقيقي في المكتبة، كانت رحمة تضع كراسات على الرفوف، وأحمد جوارها يساعدها، فقد كان ذلك عمل رحمة وهو عليه أشياء أخرى، لكنه كان يساعدها أولا ويفعل ما عليه بعد مساعدتها فقالت رحمة وهي منشغلة بما في يدها:

- أنا امبارح جاتلي فكرة حلوة أوي

استمر أحمد فيما يعمل وقال:
- أكيد حلوة مش فكرتك؟!! قولي ايه هي بقى؟
- أنت تخنسر من مرتبك ٢٥٠ جنيه كل شهر وأنا ٢٥٠ونحوشهم هيبقى ٥٠٠ جنيه في الشهر يعني ٦٠٠٠ في السنة وفي السنتين ١٢٠٠٠تجيب بيهم دبلة بس مش عايزه أكتر من كده وأ وضة النوم والانترية حاجات بسيطة كده ومش مهم السفرة والنيش.. كده كده النيش ملوش لازمه ونأجر شقة ونعيش على قدنا ايه رأيك ؟

توقف أحمد عن عمله ونظر لها وقال بهدوء:
- تعرفي تسكتي يارحمة

نظرت له رحمة وقالت:
- على فكرة أنا بقول كده عشان احنا واحد ومفيش فرق بينا عشان خاطري توافق.

انفعل أحمد وقال:
- رحمة لو مش عايزه تستنيني اعتبري ما قولتلكيش أي حاجة وده حقك على فكرة مش هزعل يعني

قالت رحمة بحزن:
- مش هتزعل! على فكرة أنا مش بقولك كده عشان مش عايزه استناك أنت عارف وجهة نظري في الحتة دي أنا كنت عايزه نساعد بعض بس طالما عامل فرق بينا يبقى فعلا مش هتزعل
قالت ذلك وتركته وجلست على مقعد بعيد عنه، حتى ذهب إليها أحمد جلس على الأرض قبالتها نصف جلسة ثانيا ركبتيه ونظر لها وقال:
- أنا آسف

قال تلك الكلمة وانهمرت دموعها الحبيسة.

تضايق أحمد وزم شفتيه وقال:
- والله ماكنت أقصد أزعلك أنا مش عارف أنا قولت كده إزاي أنا عارف إنك قصدك تساعديني بس أنا ما قبلش كده خالص.. الكلام جرحني والله حسسني إني ضعيف أوي وأ نا ما بحبش كده

ازدادت دموع رحمة فقال أحمد بضيق:
- يووووه.. رحمة والله أنا مستاهلش دموعك دي

قالت رحمة دامعة:

- خلاص أنا آسفة مكنتش أعرف إنك هتزعل أوي كده

- طب خلاص عشان خاطري اسكتي بقى.

مسحت رحمة عبراتها بأطراف أصابعها، فنهض أحمد وجلس جوارها وقال:
- رحمة أنا بحبك أوي و مقدرش أتخيل حياتي من غيرك وجودك مهو ّن عليا حاجات كتير عشان خاطري استحمليني

ابتسمت رحمة وهي تنهي شهقاتها وقالت:
- وأنا كمان أول جملتين قولتهم

صمت أحمد يعيد في ذهنه ما قاله فقال:
- وأنت كمان رحمة أنا بحبك أوي ومقدرش أتخيل حياتي من غيرك

ضحكت رحمة وهي تمسح عبراتها وقالت:
- بطل رخامة.. وبعدين أنت كمان استحملني مش كل ما أقولك حاجة تخدها على صدرك أ وي كده
- حاضر هبقى أوطي وأتفادها خالص

ضحكت رحمة وقالت:
- هو أنا بحدف طوب يعني ولا ايه

نظر لها أحمد وقال:
- يا باشا انتي تحدفي اللي انتي عايزاه.

*****

أنا جاي عندكم النهاردة

:قالها هواري وهو يتحدث إلى ريم في الهاتف فقالت ريم:

- أحمد عارف؟

- لا لسه هبقى أتصل أقوله وهو في الشغل.

- ماشي

فقال هواري مازح ًا:
- وهجيب له معايا منوم وأنا جاي وانتي تحطيهوله في الشاي زي الأفلام القديمة عشان نخلص منه.

ضحكت ريم وقالت بسخرية:
- ما تجيب له سم أحسن

- لا مش للدرجة دى أبو حميد حبيبي برضه

- لا يا راجل

- وحياة الراجل

قالت ريم ملمحة لأمر ٍ ما:
- أخبار الشيشة ايه؟

- بتسلم عليك ِ وبتقولك هسيب هواري بس واحدة واحدة

- مطيعة أوي الشيشة

:قال هواري

- أوي.. عشان خاطر عيونك بس

- أما نشوف أخرتها

- أخرتها خير إن شاء الله.. بس أوعدك إني هحاول جاهد ًا أبطلها بس بعد الجواز بشهر كده ولا حاجة.

قالت ريم باستغراب:
- اشمعنى بعد شهر من الجواز يعني!
- عشان نفسي لما نتجوز أنادي عليك ِ أقول بت ياريم تعالي رصيلي الحجر تقولي انتي حاضر يا سيدي وتيجي جري وانتي مشمرة ترصيلي حجرين وتظبوطيهم وأنا أنفخ الدخان في وشك وأبقى مستمتع لازم أجرب الإحساس ده وبعدين أبطلها

ضحكت ريم وقالت:
- شوف ازاااي
- أه.. صدقيني مهما أحاول أبطلها مش بقدر وبفشل، لازم أجرب الإحساس ده وبعدين أ بطلها
- أنا هخليك تجرب إحساس أحسن من ده بكتير

قال هواري بفرحة:
- ايوه بقى يامعلم. واتبع بشغف:

- ايه هو الإحساس ده بقى

- إحساس الشيشة وهي بتتكسر على دماغك

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد وخلفه رحمة كان اليوم آخر الشهر وقبض الاثنان مرتبهم
فقالت رحمة:
- الشتا داخلة وأنا محتاجة جاكيت هنزل وسط البلد أجيب واحد قبل الفلوس ما تتصرف

قال أحمد:
- ماشي ننزل

قالت رحمة بفرحة:
- يعني هتنزل معايا

- عندك مانع

- لا طبعا

دق هاتف أحمد فأخرجه من جيبه وقال:
- ده هواري
فتح المكالمة فأتاه صوت هواري يقول:
- أبو نسب

قال أحمد مداعبا:
- تصدق بالله أنا كرهت النسب اللي بينا بسبب الكلمة دي

ضحك هواري وقال:
- حبيبي يا أبو كمال

- عامل ايه

- الحمد لله فل.. أنا جاي عند أختك النهاردة

قال أحمد:
- وله احترم نفسك والا هسمعك صوت القطر
- حاضر ياسطى نسيبي وتأدبني براحتك

ضحك أحمد وقال:
- أنا هنزل وسط البلد شوية كده وهبقي في البيت أخري على ٧أو ٧ونص كده

- ماشي هاجي على ٨ كده وهبقى أرن قبلها برضه

- اشطة

- اشطات يلا سلام يا أبو نسب

ضحك أحمد وقال:
- سلام

كانا قد نزلا محطة المترو جلب أحمد التذكرتين ووقفا في انتظار قدوم المترو حتى جاء وصعد الاثنان العربة التي استقرت أمامهم.

*****

كان حازم في مدينة بازل السويسرية في اجتماع مع مدير شركة الأدوية ونخبة من العلماء والأطباء والصحافيين والإعلاميين يشرح لهم وهو مبتسم وسعيد بذلك النجاح، كيف يعالج المريض بذلك العقار وما مراحل أخذ العقار وهكذا„ وأن العقار ليس له أي آثار جانبية كالكيماوي والإشعاع وأنه قام بتجربته على حيوانات أولا وظلوا يسألونه وهو يجيب، وكانت إضاءة آلات تصوير الصحافة تملأ الغرفة.

*****

يا بنتي ده سادس محل تدخلي تفضلي تدوري وتقيسي وفي الآخر ما تشتريش أنا زهقتلك

قالها أحمد لرحمة أثناء خروجهم من أحد المحلات فقالت رحمة:
- هو أنت منزلتش مع ريم ومنار قبل كده وهما بيشتروا لبس
- لا

أومأت رحمة برأسها وضمت شفتيها وهي تقول:
- أمممم عشاان كده، معذور.. معذور

- ليه بقى؟
- عشان كل البنات كده مش عايزه أصدمك وأقولك إني ممكن الف وسط البلد كلها وما تعجبنيش حاجة وما أشتريش وأروح عادي

قال أحمد:
- لا يا شيخة
- أه والله.. بص هفهمك أنا الأول بلف وأقيس، ممكن حاجة تعجبني بس أقول يمكن ألاقي أحلى منها.. لحد ما حاجة أزعل إني مشيت وسيبتها يبقى دي مش هلاقي أحسن منها وأ رجع أشتريها بسرعة

قال أحمد ساخرًا:
- ده انتوا حالتكم صعبة اوي..
نظر حوله وأتبع
- طب استني هجيب حاجة وأجي ده شكل السهرة هتبقى صباحي

ذهب وعاد إليها ممسكا باثنين مأكول مثلج "آيس كريم" وقال:
- بتحبي المانجة ولا الشيكولاتة

- الاتنين
- اشطة جاتلي فكرة حلوة ايه رأيك ناكلهم احنا الاتنين أنا نص دي وانتي نص دي ونبدل ؟

ابتسمت رحمة وأومأت برأسها إيجابا فأعطاها واحدة وأخذ الأخرى جاءت رحمة عند نصفها وقالت:
- هات الشيكولاتة بقى

بدل الاثنان وأكلا موضع بعضهم وكل منهم ينظر للآخر فقال أحمد:
- ده أحسن ايس كريم كلته في حياتي
قالت رحمة مبتسمة:
- وأنا كمان

انتهيا من الأكل وقاما يكملان الشراء وجدت رحمة بائعة ذرة مشوية في جوار الطريق ابتاعت اثنين وأخذت واحدة وأعطت أحمد الأخرى وقالت:
- حلو أوي جو المراهقة ده

قال أحمد:
- أنا أصلا هفضل طول عمري مراهق في حبك

ابتسمت رحمة وقالت بخجل:
- ايه الكلام الجامد ده يا عم
- ده أقل حاجة تتقال ليكي يا ريس

دق هاتف أحمد فأخرجه وجد هواري المتصل فقال:
- يااااه هي الساعة ٨جت

نظرت رحمة في ساعتها وقالت:
- جت من ربع ساعة
- يا نهار اسود ده زمانهم نسيوا يحطوا أكل للحمام.. وزمان هواري مستنيني

*****

نزل أحمد وهواري مع ًا من منزل أحمد وجلس الاثنان على المقهى في انتظار عبدالله ق ال هواري:
- شكلك مبسوط مش عوايدك يعني.. أنا ابتديت أقلق

وضع أحمد ذراعيه خلف رأسه ومال للوراء وقال:
- مبسوط جد ًا جد ًا جد ًا
- وده من ايه بقي

قال أحمد:
- ماكنتش متخيل إني هحب حد كده، أو الحب جميل كده، رحمة دي رحمة من ربنا ليا فع لا مستحملاني بكل ظروفي وبتحبني وعندها استعداد تستناني طول حياتها عادي.. والله تقريبا البنات اللي من النوع القنوع أوي المسالم ده اللي بيحبوا بضمير خلصوا
- لا حاااسب حبيبتي فيها كل ده وموجودة عادي

قلب أحمد شفتيه وقال:
- حبيبتك!

ضحك هواري وقال:
- بص يا عم عشان نعرف نتعامل مع بعض في بيتكم أنت نسيبي وريم أختك .. على القهوة أنت صاحبي وريم خطيبتي.. اشطة؟

جاء عبد الله من الخلف وقال:
- اشطات جد ًا أنا موافق

وجذب مقعدا وجلس وضحك وهو يضرب بكفه على كف هواري فقال أحمد:
- روشين انتوا كده يعني ولا ايه؟

واستطرد موجها حديثه إلى هواري:
- وله متخلنيش أفسخ الخطوبة وأرميلك دبلتك في وشك

قال هواري:
- خلاص آسف يا أبو نسب.

قال أحمد:
- وكلمة أبو نسب دي كمان تنساها خالص.

قال ذلك وضحك الثلاثة.

فقال عبد الله:
- إشارة الجو جت وبكرة الساعة واحدة هنتحرك بمركب صغير من بوغازي الدخيلة في ا سكندرية لحد بورسعيد وبعدين هنركب سفينة من هناك

قال أحمد:
- كان نفسي ما تسافرش بس مادام رغبتك أوي كده ربنا يوفقك يا صاحبي ويسترها عليك ويرزقك من وسع

قال هواري:
- وهو كذلك نفس اللي أحمد قاله

واستطرد موجها حديثه إلى أحمد:
- عبد الله أول ما يروح يالا ويشوف البنات بالهوت شورت هيغم عليه ده كان بيريل لما يلا قي بنت لابسة ضيق

قال عبد الله:
- خف لذاذة أمك دي عشان مخنوق إني هسيبكم.. وبعدين أنا الحمدلله تـ ـُبت وسيبت كل الرمم اللي أعرفهم وكتبت الاسم البديل على الفيس التائب إلى الله.

قال أحمد مداعـ ـًبا:
- وخلي الاسم الأساسي بقى أنا اصلا واد مؤمن

قال ذلك وضحك الثلاثة.

*****

أنا عايزه أجيب طقمين بقي عشان محمد كل ما ييجي ببقى يا بالطقم الفيروزي أو الكحلي نفس الطقمين اللي عندي.

قالت ذلك ريم بعد تناول الأسرة طعام العشاء

فقال أحمد:
- كل مرة بتقولي محمد عقلي بيعمل ريستارت وبعدين أفتكر إنه هواري. وأردف قائلا :
- وبكام الطقمين دول بقى

قالت منار:
- وأنا كمان عايزه جيبة

وقال ياسين:
- وأنا كمان عايز أجيب حاجة اشمعنا هما

قال أحمد:
- أهي كملت

قالت عزيزة:
- ياولاد بالراحة على أخوكم.
نظرت نحو أحمد وأكملت:
- بص يا أحمد جيب كل شهر لحد فيهم حاجة

قالت ريم متذكرة:
- طنط هدي اللي في آخر الشارع بتبيع لبس زي نظام القسط كده

قال أحمد:
- حلو أوي هديكي ٢٠٠ جنيه تدفعيهم مقدم وتجيبي طقمين ليكي وطقم لمنار وأنا هبقى أ خد ياسين أجيب له اللي هو عايزه

صفقت ريم ومنار وقالت ريم:
- يعيش أبو حميد

فقال كمال:
- ربنا يقدرك علينا يابني

قال أحمد:
- أنت الخير والبركة يا بابا ربنا يخليلنا حسك في الدنيا دايم ًا

دقائق ونهض أحمد واتجه إلى حجرته.

*****

جلس أحمد على سريره وأخرج مرتبه من جيب سرواله ليعطي ريم مئتي جنيه فكر كيف يدبر نفسه؟ فأخذ من المبلغ الذي يصرفه في الشهر مئة جنيه، وأخذ من مصروف البيت الذي يعطيه لأمه مئة جنيه أما مبلغ علاج أبيه فلا يقدر أن يأخذ منه مليما، جاء في ذهنه رحمة وأنها تريد معطفا، فابتسم وقام فتح الباب وقال:
- ريم تعالي خدي الفلوس

جاءت ريم فقال أحمد:
- ادخلي هقولك على حاجة

- قول

- طنطك هدي دي عندها جواكت حلوة

- لا ده محلها بناتي بس

- ما أنا عارف يا ختي قصدي جواكت بناتي

قالت ريم:
- عايز تجبلي جاكت ولا ايه .. لا مش متعودة على الكرم المفرط ده

ضربها أحمد في كتفها وقال مداعبًا:
- امشي يا بت اطلعي بره

- طب عايز جاكت بناتي ليه

- مالكيش دعوة جيبي جاكت حلو كده على ذوقك.. أي بنت تشوفه يعجبها

جلست ريم وقالت وهي تغمز بأحد عينيها:
- عايزه ليييه بقى ياخلبوص ياماية من تحت تبن أنت

- لزميلتي في الشغل.. ارتحتي
رفعت ريم حاجبا وهي تقول:
- زميلتك بس

- مش ناقص لماضة هتجبيه ولا أجيبه أنا

أخذت ريم المال من يده وقالت:
- هجيبه هجيبه

ونهضت لتغادر فأوقفها أحمد وقال:
- ريم مش عايز أي سياح بره وقال ما شوفتيش قالي أجيب جاكت لزميلته وياتري جايبهولها ليه وعشان ايه وايه المناسبة وسهاري الحريم دي
- ماتقلقش يا فلانتينو

*****

على فكرة أنا مجبتش الجاكت امبارح

قالتها رحمة أثناء خروجها مع أحمد من المكتبة بعد انتهاء العمل، فقال أحمد:
- النهاردة الخميس هيبقى زحمة
- لا النهاردة الأربع بكرة لسه الخميس

- خلاص بكرة نبقى نجيبه

- لا النهاردة عشان خاطري

- يا حبيبتي خليها بكرة رجلي وجعاني النهاردة مش هقدر الف

ابتسمت رحمة وقالت:
- أنت ق ُلت ايه!

- ق ُلت رجلي وجعاني ومش هقدر الف

- لا في الأول

ابتسم أحمد وقال:
- يا حبيبتي

*****

جلبت ريم الملابس ووضعت المعطف في حجرة أحمد دون علم أحد بالبيت، وجلست تهاتف هواري

ألغى هواري المكالمة واتصل هو، وقال:
- ايه يا حبيبتي عاملة ايه؟

ابتسمت ريم وقالت:
- الحمد لله تمام وأنت
- الحمد لله

قالت ريم بصوت يخالطه القلق:
- مال صوتك مش طبيعي

- مفيش عبدالله هيسافر الفجر وأنا مش مطمن

- يا بني عادي هو بس عشان هيبعد عنكم وكده

- ربنا يستر

- يا رب

*****

صعد أحمد فوق البيت يضع حبوب القمح للحمام وتفقدهم ومسك حمامة مفضلة له يطلق عليها رومة نسبة لاسم رحمة لبث، في العشة معهم بعض من الوقت كان قلقا هو الآخر عا

ى صديقه عبدالله وحزينا لفراقه عنهم أكثر من عام نفض تلك الأفكار التي تضايقه من رأسه ثم نزل دلف الشقة واتجه إلى حجرته فنادت عليه ريم وذهبت إليه وقالت بصوت منخفض:
- الجاكت في الدولاب جامد جد ًا.. هيعجبها يعني هيعجبها

قال أحمد:
- تمام تسلمي يا جميل

دلف أحمد حجرته فتح الدولاب ومسك المعطف وظل ينظر له، وجد ذوقه رفيعا وسيعجبها، ابتسم بفرحة واستلقى على سريره ثم تذكر أمر ًا، فقام واتصل على هواري، فتح هواري المكالمة فقال أحمد:
- أيوه يا بني انزل نروح لعبد الله نقعد معاه لحد ما نوصله زمانه أبوه واخواته شبعه منه احنا كمان لينا حق عليه

قال هواري:
- كنت لسه هتصل أقولك كده.. اشطة نازلك

*****

بعد ثلاث ساعات قضاهم عبد الله مع صديقيه أحمد وهواري دخل حجرته وأخذ الحقيبة التي فيها جميع أغراضه وسلم على شقيقه الصغير عمر وأبيه وتوأمه بسمة وعانقهم جميع ًا وقال:
- هتوحشوني أوي

قالت بسمة:
- متغيبش علينا يا عبد الله

عانقها ثانيا ومسح على شعرها وقال:
- مش هغيب أكتر من سنة إن شاء الله وهرجع أجبلك كل اللي أنت عايزاه

قال أبوه:
- ربنا يسترها معاك ويرزقك من وسع يا بني

قال عبد الله:
- يا رب

وقبل يده

جاءه صوت هواري من الخارج:

- يالا يا عبد الله عشان ما بحبش لحظات الوداع ولسه دوري أنا وأحمد

ضحك عبد الله وقال:
- جاي أهو يا بني. وأردف موجها حديثه لأبيه:
- خلي بالك من بسمة يا بابا وما تزعلهاش وأنا مش هغيب عليكوا وأول ما أوصل إن شاء الله واستقر هشتري خط واكلمكوا.

عانقه أبوه ثانية وربت على ظهره وقال:
- خلي بالك من نفسك

قال عبد الله:
- إن شاء الله.
نظر لعمر وأكمل:
- يالا يا عمر

وخرج وجواره عمر أخوه، وخرجت بسمة خلفه عانقته وبكت قال عبد الله:
- يا بنتي سنة وهرجع والأيام بتفوت جري خلي بالك من نفسك هبقى أكلمك في الموبايل على طول وعلى الواتس ثم قال بإطراء:
- عارفة أكتر حاجة هتوحشني أكلك اللي مايتاكلش وشايك اللي مايتشربش

ضحكت بسمة وسط بكائها فمسح عبد الله دموعها: وقال:
- اسكتي بقى عشان أعرف أمشي

فتأثر هواري وأحمد فقال أحمد:
- بسمة إن احتاجتي أي حاجة أنا وهواري زي عبد الله بالظبط تعالي قوليلنا وما تتكسفيش وريم ومنار معاك ِ في أي وقت. واستطرد موجها حديثه إلى عبدالله:
- صح يا عبد الله؟

قال عبد الله:
- طبعا متتكسفيش منهم أي حاجة تحتاجيها قوليلهم ومعاك ِ عمر وبابا مش هيخلوكي تحتاجي حاجة

اومأت بسمة برأسها.

ونزل الثلاثة ومعهم عمر شقيق عبد الله كان في الصف الثالث الإعدادي.

*****

ذهبوا جميعا إلى بوغازي الدخيلة ترجلوا من الحافلة في العنوان المتفق عليه كانت

المنطقة شبه مقطوعة وقف عبد الله وقال:
- هتوحشوني أوي

ووجه حديثه إلى أحمد وأمسك رأسه بين راحتيه وهو يقول:
- هتوحشني يا كئيب، وتعانقا كثيرا،
قال أحمد:
- والله أنت اللي هتوحشني أوي.. أول ما توصل إن شاء الله تكلمنا على طول

قال عبد الله:
- إن شاء الله.

قال ذلك ونظر إلى هواري ففتح هواري ذراعيه وعانقه دون أن ينطق وظلا متعانقين كثير ًا

وأخير ًا عانق عمر مرة أخيرة وقال:
- مش هوصيكم على عمر.

قال أحمد والدموع تتلألأ في عينيه:
- عمر وبسمة وأبوك في عنينا اطمن أهم حاجة خلي بالك من نفسك.. بالله عليك تخلي با لك من نفسك.

قال هواري بإطراء والدموع في عينيه هو الآخر:
- اوعى تضيع شقاك على المزز ياض

ابتسم عبد الله وقال:
- أحلفلك على المصحف إني تـ ُبت

نادى عليه رب القارب وقال:
- يالا يا عبد الله ما فاضلش غيرك

ودعوه جميع ًا وقال بعد ما استقل القارب:
- أول ما أوصل هكلمكوا

قال هواري:
- مستنيينك
ظل عبدالله ناظرا لهم رغم الظلام الذي يحيطهم إلا أنهم كانوا يرون ابتسامته الواهنة، يودعهم ويودع وطنه.

لا أعرف إن كان وطنه حقا أم لا؟ فالوطن لا يجبر أبناءه على الرحيل، الوطن هو الذي

نشعر فيه بالأمان، لا نجوع فيه ولا نعرى لا نظمأ فيه ولا نضحي, ما دون ذلك فهو اغتراب.

ظل أحمد وهواري وعمر واقفين ينظرون له حتى اختفى القارب المحمل بعشرات الشباب من الرؤية.

*****

استقل أحمد وهواري وعمر سيارة ترجعهم إلى القاهرة، ظل الثلاثة طوال الطريق صامتين لا يتحدث أحد إلى أحد حتى تظاهر كل منهم بالنوم، وهو يفكر في أمر عبدالله والقلق يسيطر عليهم جميعا.

وصلوا القاهرة كانت الساعة السابعة صباحًا

صعد أحمد إلى منزله أخذ المعطف وذهب إلى المكتبة.

*****

عاملة ايه؟

قالها حسين عندما دخل المكتبة وجلس قبالة رحمة.

فقالت رحمة:
- الحمد لله أنت أخبارك ايه؟

- الحمد لله

- ماعندكش أي جديد عايز تحكيهولي

- لو حب وكده يبقى لا

- ايه لهجة اليأس دي؟
- يأس ايه عادي..عايزاني أحب تاني واللي أحبها تتخطب .. منى تاني واحدة احبها وتتخطب. واستطرد بضحكة مريرة:

- مش أنا عارف أنا وشي حلو عليهم ولا أنا اللي نحس ولا ايه؟

ضحكت رحمة وقالت مداعبة:
- طب ما تجرب تحبني كده عشان أتخطب انا وأحمد والله هدعيلك دعًا

ضحك حسين وقال:
- لا خلينا صحاب أحسن

ضحكت رحمة وقالت بجدية:
- بس منى اتخطبت عشان أنت مقولتلهاش حاجة وهي ماينفعش تستنى عشان حاجة هي مش متأكدة منها.. عندي إحساس كبير إنك لو كنت قولتلها كانت استنتك

- ماكنش ينفع أقولها

- خلاص يبقى تحب غيرها وتقولها
- لا أنا أصلا لسه بحب منى ومش هحط حب ولا غيره تاني في دماغي دلوقتي لما ابقى قد الحب هبقى أحب.

وغير دفة الحديث وقال:
- مألفتيش أي حاجة من الحاجات اللي بتصدعيني بيهم دول؟

قالت رحمة مفتعلة الغضب:
- بصدعك بيهم!.. تصدق أنت ما عندكش إحساس ومش قايلالك حاجة تاني وكنت كاتبة حاجة تليق على حالتك دي بس مش قايلهالك.. ها

قال حسين:
- آسف يا ستي قوليلي مقطوعة شعرية من اشعارك الجميلة.
- لا مش هقول غير لما تقول اتحفيني يا رحمة

قال حسين ساخرا:
- اتحفيني!! ما علينا اتحفيني يا رحمة

دلف أحمد في تلك اللحظة وألقى عليهم التحية نهضت رحمة وتقدمت إلى أحمد وقالت:
- اتأخرت ليه؟

قال أحمد:
- كنت بوصل عبد الله وجيت من اسكندرية طلعت على البيت جبت ده

وأشار على الكيس الذي في يده وأكمل قائلا:
- وجيت علي هنا.

قالت رحمة:
- ايه ده؟! يعني انت مانمتش من امبارح؟
- أه وامسكي شوفي

أمسكت رحمة الكيس وفتحته وجدته معطفا جميلا، فقالت:
- لمين ده؟!!

نظر لها أحمد وقال ساخرًا:
- لأستاذ مجدي.. ليكي يا بنتي هيكون لمين، ايه رأيك فيه؟!

ابتسمت رحمة بفرحة وقالت:
- حلو أووووي.. بس ده غالي جبته ليه؟ ما أنا كنت هجيب

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- وأنا وانتي ايه مش واحد مش دي كلمتك؟

ابتسمت رحمة وقالت:
- ربنا يخليك ليا يا أحمد

قال أحمد مبتسمًا:
- ويخليكي ليا يا رب.. أنا كنت خايف أوي ما يعجبكيش
- بص هو أنا شايفاه حلو أوي.. زائد إنك أنت اللي تبقى جاييه يبقى أكيد حلو من غير مناقشة

*****

في مكان آخر في عرض البحر كان عبد الله ومن معه يصارعون الموت، منهم من كان حيًا، ومنهم من فارق الحياة، ومنهم من يلفظ أنفاسه الأخيرة، فقد اشتدت الرياح وعلت الأمواج العاتية وقلبت القارب، قبل أن يصلوا إلى بورسعيد كان عبد الله قد أجهد من كثرة التجديف بيديه وأيقن أن لا مفر من الموت، فإن نجى من الأمواج وظل عائمًا لن ينجو من الشمس الحارقة التي تحيطهم من جميع الجوانب، ظل ينطق الشهادتين ويرددهم بصعوبة من كثرة الإرهاق، نظر جواره وجد شابا ممن كان معهم طفا جسده على سطح الماء مغمضا عينيه، فقد فارقت روحه الحياة، ونظر إلى آخر وجده تبتلعه الماء في أعماق البحر الأبيض المتوسط حاول أن يذهب إليه لم يستطع، وسمع صوت آخر تقلبه الأمواج يقول بصوت مبحوح :"يا رب"

ظل يقول هو الآخر "يا رب" ويناجي ربه أن يتوب عليه ويغفر له سيئاته وأن ينجيه ليعود إلى بلده وأهله وأصدقائه وألا يتركهم ثانية، ولكن شُلت قدرته على الحركة تماما، فقد صمد يصارع الموت منذ سبعة ساعات مضوا حتى خارت قواه، فأغمض عينيه باستسلام، ونطق الشهادتين، وغاص في المياه وقضى الله أمرًا كان مفعولا.

*****

قامت بسمة مفزوعة من النوم وذهبت إلى أبيها أيقظته، وقالت:
- كلم عبد الله يا بابا بسرعة شوفه فين.. أنا حاسة إنه مش كويس عمالة أحلم أحلام

وحشة.

نهض أبوها وقال:
- خير إن شاء الله.. دي أكيد كوابيس من عقلك الباطن عشان أنت ِ خايفة عليه بس

- طب كلمه

- مفيش حاجة أكلمه عليها.. أول ما يوصل هيكلمنا إن شاء الله

*****

أيوه يا مصطفى المركب غرقت بالناس مفيش إلا حمدي وسبع شباب بس اللي عاشوا وفي جثث طلعوها وفي لسه، والدنيا مقلوبة اتصرف بسرعة عشان أكيد الحكومة بتحقق

قال ذلك حسام صديق مصطفى وسمسار معه للهجرة غير الشرعية قال مصطفى بانفعال:
- يا نهار أسود روحنا في داهية.. طب ما تعرفش عبد الله اللي من منطقتي غرق ولا لا؟
- معرفش حاجة كل اللي عرفته إن المركب اتقلبت قبل ما يوصلوا بورسعيد وكله غرق معادا حمدي وسبعة تاني وغفر السواحل اللي طلعوهم
- ربنا يستر

*****

وقع الخبر على سيد والد عبدالله كالصاعقة وظل يردد:
- لا حول ولا قوة إلا بالله، سلم يا رب سلم يا رب يكون من العايشين يااارب

كانت الساعة الحادية عشرة صباح ًا
وكانت بسمة خارج البيت، قال سيد لعمر أن يذهب إلى بيت هواري وركض هو إلى بيت أ خيه ليذهب معه إلى الميناء.

ركض عمر إلى بيت هواري، أثناء ركوضه سأله أحد الجيران ما به فقال له ما وصله عن عبد الله،و ما إن وصل إلى بيت هواري حتى انتشر الخبر في أرجاء المنطقة. طرق الباب فتح له رامي شقيق هواري فقال عمر:
- هواري فين؟

قال رامي بقلق:
- جه من اسكندرية ونام ، هو في حاجة يا عمر؟
- المركب غرقت ومعرفش عبد الله عايش ولا

وثقل لسانه في هذه الكلمة وصمت قليلا فتفهم رامي الموقف، وأكمل عمر قائلا
- عايزين نروح المينا بسرعة.

قال ذلك وسقطت دموعه.

ركض رامي إلى حجرة هواري ونزع الغطاء من فوقه وقال:
- اصحى يا محمد بسرعة اصحى

حركه بأصابعه وقال بصوت مرتفع:
- محمد

:فزع هواري وقال

- في ايه؟!

- عبد الله

ازدرد هواري ريقه وقال:
- ماله؟
- المركب غرقت بيه ومنعرفش إذا كان من العايشين ولا اللي غرقوا

نهض هواري سريعا وخرج إلى عمر وجده يبكي، حاول أن يستفهم منه ما حدث فلم يعرف زيادة عما قاله له رامي.

تمالك هواري نفسه وقال موجها حديثه إلى عمر:
- إن شاء الله عايش..إن شاء الله عايش ما تقلقش

كان في الأصل بذلك الكلام يطمئن نفسه وليس عمر، حدسه يقول أنه غرق ولكن عقله يقول لا عبد الله ما زال حيا.

مسك هاتفه ودق على أحمد

*****

كان أحمد يحمل بضاعة إلى الداخل ورحمة كانت تبيع لأحد المشتريين فسمعت رنين هاتف أحمد فقالت للمشتري:
- لحظة واحدة

واتجهت إلى مكان هاتف أحمد وقالت بصوت مرتفع:
- كلم يا أحمد

وضع أحمد البضاعة على الأرض وقال:
- مين؟
- هواري

جاء أحمد وأخذ الهاتف فتح المكالمة وقال:
- ايه يا هواري

قال هواري بصوت حزين:
- انت فين؟!

- في المكتبة

- خليك في رمسيس اطلع على موقف اسكندرية وأنا جيلك دلوقتي

قال أحمد بفزع:
- عبد الله ماله؟

- عبد الله كويس ما تقلقش احنا هنروح نجيبه

- ايه اللي حصل؟!!

- استناني بس عند الموقف أنا جيلك

- طب بسرعة

وأغلق معه وهو مذهولا

قالت رحمة بقلق:
- مالك..ايه اللي حصل؟!
- عبد الله صاحبي مش عارف ايه اللي حصله هروح أشوف في ايه ابقي قولي لأستاذ مجدي.

قال ذلك وركض إلى الخارج

*****

تجمع أقارب وجيران عبد الله أمام العقار الذي فيه بيته فقال هواري:
- خليك يا عم سيد أنا رايح أنا وأحمد وعمر وهنطمنك إن شاء الله خير

تدخل رمضان شقيق سيد وقال:
- لا احنا هنروح نطمن عليه بنفسنا

قال هواري موجها حديثه إلى سيد:
- ياعم سيد أنا وعمر وأحمد هنسد وجود الباقي مش هيفيد.

قال سيد بوهن:
- خلاص يا رمضان وظل يردد لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله هات العواقب سليمة يا رب .. سلم يا رب سلم
غادر عمر وهواري وجاءت بسمة تركض كان قد وصلها خبر غرق مركب أخيها، وجدت تجمعا أمام بيتهم وصوت همهمة بين الواقفين فقالت:
- بابا هو اللي أنا سمعته ده بجد!
قالت إحدى جاراتها:
- مفيش حاجة يا بنتي أصحابه راحوا يجيبوه اطلعي دلوقتي
بكت بسمة وقالت:
- أنا عايزه أروح له دلوقتي
لمحت عمر وهواري مغادرين الشارع فقالت بصوت مرتفع:
- يا عمر يا عمر
سمعها عمر وهواري وألقيا عليها نظرة مليئة بالشفقة وأكملا سيرهم
وهمت أن تركض إليهما فلحقوا بها الجيران وأمسكوها، ظلت تصرخ قالت إحداهم:
- يا بنتي لسه معرفناش حاجة انتي بتفولي عليه ليه
وقالت أخرى:
- إن شاء الله خير يا بنتي ما تعمليش كده
هدأت بسمة قليلا وصعدوا بها إلى الشقة
*****

ذهب هواري وعمر إلى رمسيس ووجدا أحمد في انتظارهم

استقلوا حافلة وذهبوا إلى العنوان الذي قاله عمر

نزلوا واتجهوا إلى الميناء كانت الساعة الرابعة والنصف عصرا وجدوا أهالي المهاجرين منتظرين في وجوم سماع أسماء الموتى ليعرفوا إن كان ذويهم أحياء أم أمواتا سأل أحمد أحد العساكر الواقفين وقال:
- احنا تبع مركب المهاجرين هما فين؟

قال العسكري بتأثر:
- كمان شويه هيعلنوا عن أسماء اللي اتعرفوا عليهم

قال أحمد:
- ماشي شكر ًا

ظلوا واقفين حتى جاء الليل واشتدت برودته ولكن لم يعبئوا بها ظلوا يرددون سر ًا "إن يكون حيا" فكل دقيقة تمر عليهم تضغط على أعصابهم فقال أحمد لهواري:

- تعالى نروح نشوف بطانية لعمر

قال عمر:
- مش عايز حاجة.. أنا عايز أخويا

قال ذلك وبكى فاحتضنه هواري وظل يطمئنه هو وأحمد، فذهب أحمد إلى أحد الصيادين وأخذ منه غطاء لعمر وعاد إلى عمر وهواري ووضعه على عمر وجلسوا الثلاثة حتى نام عمر وهو جالس موضعه ومطأطئ رأسه.

نادت مكبرات الصوت أن ينتبه الجميع، في تلك اللحظة وقف الجميع بانتباه بدأ إعلان الأ سماء وضربات قلب أحمد وهواري كادت أن تقف من سرعتها، بعد إعلان كل اسم كانا يسمعون صراخا ويرون من تلطم وجهها ومن يجهش بالبكاء وبعد كل اسم يـ ُنطق كان يقول أحمد وهواري "الحمد لله"

حتى سمعا "عبد الله سيد عبد الله"

تجمد أحمد وهواري ولم يسمعا أي شيء بعد ذلك الاسم، وقف أحمد في وجوم غير مصدق

فقال هواري بذهول:
- لا أكيد في حاجة غلط.. عبد الله ما متش، أكيد أغم عليه بس وهيقوم، أكيد ما متش.
ركض أحمد وخلفه هواري إلى الغرفة الكبيرة الموضوع بها الجثث، وتركا عمر نائم ًا موضعه ، دخل الاثنان وبدأ هواري وأحمد في رفع الغطاء عن الجثث يبحثون عن عبد الله حتى وجدوه ووجهه وجسده مليء بالسحجات والكدمات.

قال أحمد في غير إدراك:
- قوم يا عبد الله ما توجعش قلبنا.. أنت بتعملها فينا يعني زي هواري وبتردهاله صح؟

قال ذلك وابتسم بوهن ثم صمت قليل ًا واستطرد باكي ًا:
- فاكر هواري لما عملها فينا؟ ما تعملش زيه أنا تعبان من كل حاجة ومش مستحمل قوم و النبي.

وقال هواري باكي ًا:
- عبد الله قوم عشان خاطرنا والنبي.. طب قوم عشان خاطر بسمة طيب أنت ما تعرفش هي عامله ازاي هناك

جذب أحمد عبد الله وقال:
- قوم بقى يا عبد الله قوم معانا باالله عليك صمت قليلا وقال: طب ايه مش هترد!! واستطرد طب لو مش قادر تتكلم حرك عينك بس عرفنا إنك صاحي

قال هواري:
- يا عبد الله قوم بقى قلبنا وجعنا والله
ظل الاثنان صامتين في ذهول غير مستوعبين، حتى قال أحمد باكيا:
- عبد الله مات يا هواري.. فضلت أقوله ما تسافرش

فقال هواري وهو يبكي بحرقة:
- ما سمعتش كلامنا ليه يا عبد الله

وارتمى الاثنان على صدره وأجهشا بالبكاء

*****

وقف أحمد وهواري في أول الصوان يأخذون عزاء صديقهم وما زالا غير مدركين أنهم لن يروه ثانية
ربما كان حالهم أشد سوءا من أبيه وأخيه، ولكن بسمة من كانت مفجوعة مثلهم وأكثر، ظلت تصرخ وتبكي حتى فقدت الوعي، فأخذتها ريم ومنار عندهم، أمها ماتت منذ خمسة أ عوام وكان عبدالله يعوضها فقدان أمها، كانا توأمين مرتبطين ببعض قبل أن يأتيا على الدنيا، معا منذ أن كانا في رحم أمهما وكان عبد الله أخا وصديقا لها، يعطيها ما تحتاجه، كان لا يبخل عليها بكل ما يملك من عاطفة ومال ووقت.

كانت تقوم من نومها كل حين تتذكر أخاها وجسده المشوه، تصرخ وتبكي حتى يهدئوها وتنام ثانية.

*****

كانت رحمة كلما دقت على هاتف أحمد وجدته مغلقا، فعرفت أنه حدثت له مصيبة كبرى، وكان غدا الجمعة فلن تعرف ما به غير يوم السبت إذا جاء، خرجت جلست جوار هدير رأتها تشاهد التلفاز، فقالت رحمة:
- يعني بقيتي مش بتذاكري زي الأول كده كل ما أجي ألاقيكي قاعدة قدام التلفزيون أو قدام النت
- كبري دماغك
- هو ايه اللي كبري دماغك؟!

قالت هدير بلا مبالاة:
- هذاكر ليه؟

- نعم!

- بقولك هذاكر ليه؟

- أكيد عشان تنجحي.

- وبعد ما أنجح

- مش فاهمة.
- بصي يا رحمة أنت مخلصة ألسن وبتشتغلي في مكتبة عند واحد، وحازم قعد سبع سنين في طب وطلع عينه وعمل ماجستير واختراع واترفض.. عايزاني أنا أقل كلية فيكوا اذاكر عشان أنجح هعمل ايه بالنجاح؟

تفاجأت رحمة من إحباط هدير وقالت:
- أنا بشتغل في مكتبة ومبسوطة بالشغل ده جد ًا.. وشهادتي لنفسي، وحازم سافر بره يحقق حلمه ولحد دلوقتي ماشي تمام ذاكري عشان نفسك مش عشان حد وافتكري إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

- مش عارفة ايه الإحباط اللي انا فيه ده؟ رحمة والنبي كل ماتلاقيني كده فوقيني.

*****

ذهب كل من أحمد وهواري إلى بيته صعد أحمد ولم يتحدث إلى أحد، دخل حجرته واستلقى على سريره يبكي، حتى سمع بسمة تصرخ في الخارج وتبكي بحرقة وتقول:
- جالك قلب تسافر وتسيبنا يا عبد الله.. حرقت قلبي يا عبد الله

سمع ذلك واشتد بكاءه.

*****

ظلت ريم وعزيزة ومنار يهدئونها ودموعهم تتساقط تأثرا لحال بسمة حتى هدأت بسمة وراحت في النوم، فدخلت ريم حجرتها مسحت دموعها وهاتفت هواري، وجدت هاتفه مغلقا، هي تعلم أن حاله كحال أخيها، فهم أصدقاء من الطفولة، وكان الثلاثة لا يفترقون أ بد ًا، كانت تريد أن تخفف عنه ولكن وجدت هاتفه مغلقا، تضايقت وظلت تكرر المحاولة ولكن دون جدوى في كل مرة تجده مغلقا.

*****

توالت الأيام وعادت طبيعية، لكن لم يعد أحمد وهواري وأهل عبد الله لطبيعتهم، فدوما كل من يرى الذي مات من بعيد يتأثر لحظتها فقط، أما الذي لا ينساه بقية عمره فهو الذي أ كل معه وضحك معه وبكى معه وتألم معه سيظل يتذكره إن سمع اسمه وإن رأى ملابسه وإن حكى أحد عنه، سيتذكره وقت نجاحه ووقت إخفاقه، سيتذكره دون أي شيء، فقط يـ شتاق لدقيقة واحدة يراه فيها ليعانقه، ولن يراه إلا في صوره أو في أحلامه، حينها الفراق

يصبح أكثر بشاعة لأن الحنين يلامس أرواحنا.

*****

ابتسم حازم وهو جالس أمام مكتبه وأمامه صحف ومجلات بعناوين مختلفة وخطوط عريضة جميعهم يتحدثون عنه، أحدهم يقول "حازم شاهين طبيب مصري يهزم السرطان" وأحدهم يقول "فرعون مصري يجعل السرطان كنزلة برد سهل الشفاء منه" وأحدهم يقول "أخير ًا اختفى شبح السرطان" وأخر يقول "لا ،وداع ًا لك أيها السرطان اللعين"

سجد حازم يشكر ربه وبكى وهو ساجد فرحا لتحقيق حلمه الذي ابتدأه منذ سنوات، والآن تحقق وهزم السرطان وانتقم منه شر انتقام، فسيمحو عقاره السرطان من الوجود، ثم نهض وهاتف أمه على الفور في مصر.

*****

اقفلي يا بت التلفزيون بسرعة حازم بيتصل

قالتها صفاء لرحمة عندما دق الهاتف ووجدته حازم، فأغلقت رحمة التلفاز وفتحت صفاء المكالمة وقالت:
- الو أيوه يا حازم

قال حازم وهو سعيد:
- أيوه يا ماما باركيلي الدوا اتصنع واتفعل وخلاص بيسوقوه
- ألف مبروك يا حبيبي يا ريتني بعرف أزغرط كنت زغرطت وبهدلت الدنيا ما تتصورش أنا فرحانة ازاي.. وحشتني أوي

اتسعت ابتسامة رحمة وعلمت أن أخاها حقق مبتغاه بالتأكيد.

قال حازم:
- وانتوا كلكوا والله وحشتوني أوي يا ماما

أخذت رحمة الهاتف من يد صفاء وقالت: هاتي اباركله .واتجهت صفاء إلى شاهين وهدير تبلغهم ذلك الخبر السار ، وقالت رحمة:
- ألف مبرووك ياحازم أخير ًا

قال حازم:
- الله يبارك فيك يا حبيبتي.. أخوك ِ هنا مكسر الدنيا مفيش مجلة ولا جريدة إلا وبتتكلم عني.
- طبعا مجبتش سيرتي خالص أنا عارفة

قال حازم ضاحكًا:
- في اللقائات التلفزيونية بقى ده اتفاقنا.

وجاء شاهين ثم هدير وتحدثا إليه وباركوا جميعا له.

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد من المكتبة وخلفه رحمة مشت جواره وقالت:
- نسيت خالص أحكيلك حازم اختراعه اتصنع وسوقوه كمان.

قال أحمد مبتسما:
- ألف مبروك.
- الله يبارك فيك.. بيقول إن مفيش مجلة ولا جريدة إلا و بتتكلم عنه هناك.
- ربنا يوفقه.

قالت رحمة:
- يا رب.. باباك بقى عامل ايه دلوقتي كنت بتقول امبارح إنه تعبان

- الحمد لله بس لو فضل على الحالة دي لحد بكرة كمان احتمال يتحجز دعواتك بقى.

- ربنا يشفيه ويعافيه يا رب.

- يا رب.

نزلا إلى محطة المترو وصعد الاثنان العربة معا

لم تكن العربة مزدحمة كما العادة فقالت رحمة:
- النهاردة الجو رايق أوي.. يا سلام لو كل الأيام كده.. أنا وريم بقينا بنتكلم على طول أنا مبسوطة إننا بقينا صحاب.

فلم ينتبه لها أحمد، كان شاردا منذ وفاة صديقه وهو غير طبيعي، وازداد كآبة وما زاد الطين بلة حالة أبيه تسوء يوما عن يوم.

فعقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- أحمد!

نظر لها أحمد وقال:
- روحه

- روحه ايه! بقالي ساعة بكلم نفسي

- معلش يا رحمة مخدتش بالي

- طب أول ماتروح وتتغدى كلمني

- ماشي

- وسلم لي على ريم.. ولا أقولك أنا هبقى أكلمها

قال أحمد:
- انتو بترغوا الرغي ده كله في ايه بقى

قالت رحمة:
- نص الكلام عنك.. أنا خايفة ريم تفتكرني بكلمها عشانك بس أنا والله حبيتها وبكلمها عشانها هي مش عشانك.. أصلي معنديش أصحاب فمصدقت ألاقي حد أحكيله عنك

ابتسم أحمد وقال:
- لا مش هتفتكر كده.. لأنها هي كمان حبيتك جد ًا ونفسها تشوفك كانت بتقولي خليها تيجي في مرة وتقعد معايا أنا وبسمة شوية بس قولتلها مش هينفع

قالت رحمة:
- إن شاء الله أشوفها في فرحها

- إن شاء الله

- هي بسمة بتفضل عندكم

قال أحمد:
- أه أنا بقول لريم تجيبها بالعافية حتى لو ماجتش بخلي ريم تروح تقعد معاها. واستطرد بحزن:

لأن بسمة حالتها صعبة أوي من ساعة عبد الله

صمت عند تلك الكلمة

فأومأت رحمة برأسها متفهمة، فأكمل أحمد:
- لحد النهاردة بتفضل تعيط أصل هي وعبد الله كانوا توأم ومتعلقين جامد ببعض فماينفع ش تقعد كده لواحدها إلا لما تتخطى المرحلة دي

قالت رحمة بتأثر:
- ربنا يصبرها
- يا رب

جاءت محطة السيدة زينب فقالت رحمة:
- قوم بسرعة قبل الباب ما يقفل

قال أحمد:
- هروح معاكي لحد المعادي وأرجع

- معملتش الحركة دي من زمان

- أديني عملتها يا ستي

- طب كمل بقى كنا وقفنا عند ايه

- عند اني بحبك

ابتسمت رحمة وقالت:
- وأنا كمان

ظل يتحدث الاثنان حتى جاءت محطة المعادي، قامت رحمة وأحمد ونزلا وقالت رحمة:
- أما تروح وتتغدى أبقى كلمني وطمني على باباك وريم وبسمة
- ماشي

وقفت رحمة إلى أن اتجه أحمد إلى الرصيف الآخر ورأت المترو قادم، فأشارت له وأشار لها حتى استقر المترو واستقل أحمد العربة التي أمامه وغادرت رحمة المحطة.

*****

عاد أحمد وهو ينظر من النافذة بشرود وحزن، فقد تذكر عبد الله صديقه مرت تسعة أشهر وحتى الآن حاله كحال بسمة شقيقة عبد الله، ولكنه متماسك ولا يظهر ذلك و يبكي فراق عبد الله لكن بينه وبين نفسه، نزلت دموع من عينيه فمسحها بطرف أنامله.
- اتفضل منديل

قالتها فتاة جالسة قبالته كانت ترصده.

قال أحمد دون أن ينظر لها:
- لا شكر ًا

حتى أتت محطة السيدة زينب ونزل.

*****

عاد إلى بيته فتحت له منار دخل وجد أمه جالسة واضعة إحدى يديها على خدها يبدو

عليها الحزن فقال لها أحمد:
- أبويا عامل ايه

قالت عزيزة:
- تعبان يا أحمد.. روحنا كشفنا النهاردة والدكتور حوله على القصر عشان يتحجز.

مط أحمد شفتيه ونظر إلى الأرض وقال:
- خير إن شاء الله

قالت عزيزة:
- إن شاء الله. وأردفت موجهة حديثها إلى منار:
- ادخلي هاتي لأخوكي ياكل

قال أحمد:
- لا مش جعان.. ريم فين؟

قالت منار:
- جوه هي وبسمة.

قال أحمد موجه ًا حديثه إلى عزيزة:
- هنودي أبويا بكرة امتى

- الصبح الساعة ٨

- ماشي هنقله وأشوف ايه اللي هيتم وأظبط الدنيا وأطلع على الشغل

- يا بني روح شغلك أنت، ريم قالت لمحمد وهيوديه معانا.
- لا، هنروح بيه أنا وهواري بس وبعدين أروح الشغل ومفيش داعي تقولي لسمر وتيجي الصبح بعيالها أنا هوديه وبعدين اتصل عليك ِ تروحي.

في تلك اللحظة خرجت بسمة وقالت:
- سلام عليكم

قالت عزيزة:
- رايحة فين يابنتي؟ لسه بدري

قالت بسمة:
- لا هروح أأكل عمر وبابا بقى زمانهم جعانين

قال أحمد:

- عاملة ايه يا بسمة؟

- الحمد لله
- هنروح يوم الجمعة أنا وهواري نزور عبد الله لو هتيجي أنت وعمي سيد وعمر قوليلي عشان أعمل حسابي

- إن شاء الله هنروح.. حتى لو بابا ما رحش هنروح انا وعمر

- تمام إن شاء الله.

قال ذلك ودخل أحمد غرفته وغادرت بسمة.

*****

جاءت الثامنة صباحا هاتف أحمد رحمة وبلغها أن تأخذ إذنا له بالتأخير من مجدي حتى ينقل أباه ويأتي إلى العمل، وانتقل أحمد وهواري وكمال في سيارة أجرة إلى القصر العيني أنهى أحمد إجراءات الحجز وجلس جوار أبيه المستلقي على سرير المستشفى، بينما ظل هواري واقفًا لعدم وجود مقاعد، قال أحمد لأبيه:
- ألف سلامة عليك يا بابا.. إن شاء الله يومين وهتخرج كويس.

قال كمال بإعياء:
- إن شاء الله

جاءت ممرضة ووضعت في وريد يد كمال كانيولة المحلول وقالت:
- حد فيكوا يمسك المحلول عشان مفيش عُليقة دلوقتي

أمسكه هواري وقال موجهًا حديثه إلى أحمد:
- روح أنت بقى الشغل.. وأنا هنا كده كده معنديش شغل النهاردة

قال أحمد:
- تسلم يا صاحبي.. هتصل على ريم بقى وهتيجي هي وأمي واخواتي على ميعاد الزيارة خليهم يقعدوا شوية وروح اخواتي وأمي اللي هتقعد معاه لحد ما أجي من الشغل

- تمام

- يلا سلام

- سلام

*****

معلش يا حسين الأيام الجاية دي هتشيل شغل أحمد كتير وأنا هعمله معاك برضه لو اتأخر أو مجاش وكده .. عشان أبوه اتحجز النهاردة في المستشفى، ولو سيبته لما ييجي هو يعمله أنت عارف أستاذ مجدي ممكن يجيب حد غيره.

قالت ذلك رحمة وهي جالسة قبالة حسين في المكتبة بعد ما حمل حسين البضاعة إلى الداخل وحده، فقال حسين:
- ولا يهمك.. ربنا يشفي أبوه وييسر له الأمور

قالت رحمة مداعبة:
- ماشي يا أصيل يا أبو الواجب
- عشان خاطرك أنت ِ بس

رفعت رحمة أحد حاجبيها وقالت:
- وأحمد مش عاجبك يعني ولا ايه„ ده أنت تعمل خاطر لأحمد وأنا لا.

ابتسم حسين قائلًا:
- والله يا بخت أحمد بيكي.. نفسي ألاقي واحدة تحبني كده

قالت رحمة مداعبة:
- قل أعوذ برب الفلق هتحسد الواد.
وأكملت بجدية:
- إن شاء الله ربنا يرزقك ببنت الحلال وتعيش أجمل قصة حب„ أنت كويس والله ياحسين وتستاهل كل خير
- ربنا يخليكي

جاء أحمد في تلك اللحظة نهضت رحمة وذهبت إليه وقالت:
- باباك عامل ايه؟ اتحجز واطمنت عليه؟
- الحمد لله

جاء حسين وقال:
- ألف سلامه على الحاج

قال أحمد مبتسم ًا:
- الله يسلمك.. معلش دخلت البضاعة لواحدك.

ربت حسين على ذراع أحمد وقال:
- ولا يهمك دي حاجة بسيطة ربنا يطمنك على الحاج

قال أحمد ممتن ًا:

- ربنا يخليك

*****

دلفت ريم وعزيزة ومنار وياسين المستشفى واستعلمت ريم عن أبيها واتجهوا حيث أ بلغوهم. وجدوا هواري واقفا جوار السرير ويمسك بالمحلول وقفت ريم جواره وأخذت المحلول وقالت:
- أقعد أنت بقى.. أكيد ماسكه من زمان.

قال هواري:
- لا عادي.

قالت عزيزة:
- معلش يا بني تعبناك معانا.

قال هواري:
- عيب يا حاجة ده احنا أهل.. وعم كمال ابويا وأحمد أخويا.

وأكمل بصوت منخفض هامس ًا لريم الواقفة بجواره:
- وريم خطيبتي.

ابتسمت ريم رغم حزنها

قالت عزيزة:
- ربنا يكرم أصلك يا بني. واتبعت موجهة حديثها إلى ريم:
- اتصلي على سمر عرفيها إن ابوك ِ اتحجز عشان إن بقي هتيجي

هاتفت ريم سمر وأخبرتها.

مرت ساعة وقال هواري:
- يلا يا ريم بقى أنت ِ ومنار وياسين عشان اروحكم، أحمد قالي كده وهو هييجي من الشغل على هنا ويروحك يا خالتي ويقعد هو

قالت ريم:
- لا هنقعد مع بابا شوية

فقال هواري:
- احنا كتار واديكوا شايفين المكان عامل ازاي.. وكمان سمر زمانها هتيجي هي وعيالها ومينفعش ده كله مش عايزين كلام من حد.

قالت عزيزة:
- اسمعي الكلام يا ريم خدي اخواتك وروحي مع خطيبك.. محمد بيتكلم صح مش عايزين كلام من حد

قالت ريم باستسلام:
- حاضر

*****

ذهبت ريم بعد عودتها من المستشفى إلى بسمة بعد ما أبلغت هواري وسمح لها، صعدت ريم عند بسمة طرقت الباب طرقتين وانتظرت إلى أن فتحت لها بسمة وأدخلتها إلى حجرتها، جلست ريم على السرير وقالت:
- عاملة ايه يا بسمة

جلست قبالتها بسمة وقالت:
- الحمد لله.. عم كمال عامل ايه؟

قالت ريم بحزن:
- الحمد لله بس حاسة إن وجوده وسطنا أحسن، المستشفى زي البيت ويمكن البيت أحسن ، تخيلي روحت لقيت محمد واقف ماسك المحلول!

قالت بسمة:
- جت على دي! كل حاجة في البلد فيها إهمال.. ربنا يقومه بالسلامة يا رب.
- يا رب.

دق هاتف ريم وجدته أحمد فتحت المكالمة وقالت:
- الو

قال أحمد:
- ايوه يا ريم معلش ابقي اطلعي حطي أكل للحمام عشان هبات مع أبوك ِ هتلاقي القمح في كيس متعلق في الغية من الجنب

- ماشي

- يلا سلام

- سلام

أغلقت ريم وقالت:
- ده أحمد بيقولي أحط أكل للحمام عشان هيبات مع بابا.

قالت بسمة بنصف ابتسامة:
- مش فاكره ايه اللي جاب سيرة أحمد والحمام قبل كده فعبد الله الله يرحمه كان بيهزر ة الي أحمد صاحبي ده بيحب غية الحمام أكتر من أمه وأبوه شكله بيحب الحمام أوي فعلا.

ابتسمت ريم وقالت:
- أه كانت هواية وبعدين الموضوع اتطور وبقيت غية الحمام بالنسبة لأحمد حاجة مينفعش الغنى عنها وبقي يزعل أوي لو حمامة ماتت أو ...توقفت عند تلك الكلمة عندما رأت بسمة تبكي فقالت:
- بتعيطي ليه يا بسمة؟ والله أنا فيا اللي مكفيني

قالت بسمة باكية:
- عشان صعب عليا أوي أنطق اسم عبد الله وبعديها الله يرحمه حاسة إني في كابوس وطو ّل أوي.

احتضنتها ريم وبكيت الاثنتان، كانت ريم تبكي تأثرا لحال بسمة ومن حزنها على حال أ بيها أيضا، ظلت متماسكة حتى انفجرت هي وبسمة في البكاء معا.

*****

جاء الوقت بعد منتصف الليل فرش أحمد غطاء على الأرض ونام جوار سرير أبيه في غرفة المرضى، حالة أبيه المتأخرة كانت تتطلب مرافقا جواره، وضع ذراعيه علي عينيه لينام ولكن أنات مريض برغم ضعف صوتها كانت تخترق صميم أذنيه، فقام ذهب إلى المريض وقال له:
- أناديلك دكتور يا حاج

أشار له المريض على علبة دواء جواره وقال:
- معلش يا بني هتعبك.. هاتلي كوباية مياه آخد البرشامة دي

- حاضر.. بس أناديلك دكتور يشوفك؟
- على ماتنادي عليهم وحد ييجي هكون اتحسنت

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- طب هروح أجبلك المياه

عاد أحمد وجلب المياه وأعطاها للمريض وقال:
- بالشفا إن شاء الله

قال المريض:
- متشكر يابني تعبتك

- تعبتني ايه يا حاج دي حاجة بسيطة.. إن شاء الله تقوم بالسلامة وترجع بيتك

ابتسم المريض في وهن وقال:
- هو اللي بيدخل القصر يا بني بيطلع على رجله.. ده حتى بيقولوا عليه الداخل مفقود و الخارج مولود ,,عارف كل كام يوم بيموت حد من الأوضة ويجبولنا غيره أنا مستني دوري.

أشار له المريض على مريض آخر موصل في أنفه خراطيم طبية وقال بصوت منخفض:
- شايف ده كده خلاص بيودع.. ومع ذلك مفيش دكاترة بتيجي تشوفه غير في مواعيد معينة معانا كلنا

قال أحمد:
- لا إن شاء الله هتبقي كويس وتخرج على رجليك
- يااارب

أشار له أحمد على والده وقال:
- هروح لأبويا بقى إن احتاجت حاجة قول يا أحمد بس.. هجيلك علطول.

ابتسم المريض رغم ألمه وقال:
- ماشي يا أحمد ربنا يباركلك يا بني.. وأنا اسمي محمد.

ابتسم أحمد قائلًا:
- ماشي ياحاج محمد. قال ذلك وعاد إلى فراشه واستلقى وظل يفكر في كلام المريض "هو في حد يا بني بيدخل القصر ويطلع على رجله ده حتى بيقولوا الداخل مفقود و الخارج مولود"

فكر أن ينقل أباه مستشفى آخر استثماري ولكن أين المال لذلك,, شعور العجز يلاحقه أينما كان. سمع أباه يتألم فقام على الفور وقال:
- مالك يا بابا؟

- عضمي واجعني أوي.

- طب استنى هروح أنادي دكتور يشوفك

ذهب أحمد إلى أحد الطرقات ينظر في الغرف بحثا عن طبيب فلم يجد، وجد ممرضة قال لها:
- فين الدكاترة؟

قالت الممرضة بلا مبالاة:
- معرفش انزل دور تحت.

- هو مكانهم فين طيب؟ أنا مش لاقي حد

تأففت الممرضة وقالت:
- ريح نفسك محدش هييجي دلوقتي

انفعل أحمد وقال:
- يعني ايه؟ ابويا جوا تعبان.
- خلاص ما تزعقش هاجي أديله حقنة فولتارين

جلبت الحقنة وذهبت معه وأعطت لأبيه الحقنة وخرجت، جلس أحمد جوار أبيه حتى ذهب الوجع قليلا عن أبيه وحاول أن ينام.

*****

دخل هواري حجرته أخرج هاتفه وجلس على سريره وهاتف ريم، فتحت ريم المكالمة وقالت:
- الو

قال هواري:
- وبعدين بقى؟

- وبعدين في ايه؟!

- صوتك حزين

- طب اعمل ايه وهو بابا تعبان ومحجوز في المستشفى
- ما تعمليش ادعي ربنا يشفيه.. حزنك مش هيخففه أنا عارف إنه مش بمزاجك بس صدقيني الحزن مش هيفيد

بكت ريم وقالت:
- بس أنا خايفة عليه أوي
- يووه بقى يا ريم باللّٰه عليك ِ ما تعيطي.. إن شاء اللّٰه هيبقى كويس.. امسحي دموعك بقى وعشان خاطري عندك ما تعيطيش

مسحت ريم دموعها وقالت:
- حاضر

قال هواري:
- أقولك نكتة

ضحكت ريم وقالت مداعبة:
- لاحظ إني زعلانة ومش ناقصة غم

ضحك هواري قائلًا:
- لا ما تقلقيش احتمال تعجبك
- احتمال! وكمان مش متأكد

- طب اسمعي

- سمعني

- بيقولك مرة فكهاني دخل بيت رعب مات من الخوخ

قالت ريم وهي تضحك:
- أبوس إيدك بلاش تحكي نكتك دي لحد.. أنا وأنت ستر وغطا على بعض، إنما اللي بره ماتضمنش ايه اللي ممكن يحصل

- هفكر

- تفكر في ايه؟

قال هواري:
- إنك تبوسي إيدي وأبطل أحكي النكت دي لحد يعني. صمت قليلًا وأكمل طب ماتبوسي خدي وأبطل من غير تفكير
- أما أعرض على احمد الموضوع ده.

- لالالا خلاص بطلت.

- أيون كده احترم نفسك.

*****

استيقظت رحمة من النوم لتذهب إلى دورة المياه، خرجت من الحجرة وجدت هدير متكئة على الأريكة ممسكة بكتاب وتذاكر فوضعت رحمة يدها على فمها وهي تتثاءب نظرت في ساعة الحائط وجدتها الواحدة والنصف صباحًا فقالت بصوت ناعس:
- ايه ده غريبة! صاحية لدلوقتي تذاكري

قالت هدير:
- الامتحانات قربت بقى

- ربنا معاكِ

- يا رب.

*****

جاء يوم الجمعة وذهب كل من أحمد وهواري وعمر وبسمة إلى المقابر لزيارة عبد الله وقفوا عند القبر فقال أحمد:
- بسمة هتفضلي تعملي زي كل مرة هنمشي على طول.. أنت ليه مش مقتنعة إنك كده بتضايقيه! اقرأي له قرآن أحسن من العياط.

اومأت بسمة برأسها متفهمة، وعيناها مليئة بالدموع.

كان معها حقيبة أخرجت منها سجادة صغيرة فرشتها وأخرجت زجاجة مياه تسقي الصبار سقته، وأخيرا أخرجت المصحف وجلست متربعة تقرأ سورة يس ودموعها تنهمر بلا توقف وجلس أحمد وهواري وعمر ثانين ركبهم و محاوطينها بذراعيهم، منهم من كان يتذكر أ يامه معه ومنهم من كان يتحدث إليه في سره، رغما عنهم نزلت دموعهم الحبيسة في صمت وأعلنت الاستسلام، حاول كل منهم ألا يظهرها للآخر مر جزء من الوقت حتى جاء هاتف إلى هواري فتح المكالمة وقال:
- أيوه يا ريس صمت قليلا ً وقال ماشي أنا في مشوار دلوقتي كمان ساعة هكون عندك إ ن شاء الله.

أغلق المكالمة وقال:
- جالي شغل هتقعدوا ولا هتعملوا إيه؟

نهضت بسمة وأشارت على قبر يبعدهم بمسافة قليلة وقالت:
- خمس دقايق بس هروح أزور ماما وأقولها على حاجة ونمشي

أومأ هواري برأسه موافقا اتجهت بسمة إلى القبر الآخر وأخذت معها المصحف والماء لتسقي زرع الصبار استوقفها عمر قائلًا:
- استني يا بسمة أنا جاي معاكي

ذهب عمر معها وبقي هواري وأحمد عند قبر عبد الله، قال هواري لأحمد:
- عبد الله واحشني أوي.. أنا لحد دلوقتي مش مقتنع إنه سابنا

قال أحمد:
- ولا هتقتنع لو حتى عدى على فراقه خمسين سنة.. لأن روحه عايشة جوانا أي مكان بنروحه هو كان بيبقى معانا فيه، أي حاجة بنعملها كان بيبقى معانا فيها، أي فرحة كنا بنفرحها لما ننجح أو ناخد الدوري كان هو بيفرحها معانا، أي إفيه بنقولوا هو كان بيقوله.

بكى هواري وأحمد معا فمسح أحمد دموعه وقال بضحكة مريرة ملطف ً ا للجو:

- كان بيقولنا قبل مايركب المركب هتوحشوني أوي ضحك علينا وهو اللي وحشنا

فقال هواري:
- وكان بيقولك هتوحشني يا كئيب ييجي يشوف بقينا عاملين ازاي احنا الاتنين

ضحك الاثنان بمرارة واختلط ضحكهم بدموعهم حتى جاءت بسمة وعمر وغادروا المقابر.

*****

ذهب هواري إلى عمله وعاد أحمد إلى أبيه المحتجز في القصر العيني بعدما أوصل عمر وبسمة إلى منزلهم وجد أباه نائما.
- يا أحمد.. يا أحمد

قالها الحاج محمد المحتجز في ذات الغرفة

ذهب له أحمد وقال:
- أيوه ياحاج.. محتاج حاجة؟
- أقعد نتكلم شوية.. الحاج صلاح مات النهاردة وأهله جم خدوه

قاطعه أحمد وقال:
- الحاج صلاح مين؟

أشار له المريض على أحد الأسـ ـِر ّة وقال:
- اللي كان على السرير ده ومركب خراطيم وقولتلك ده قرب يموت ومحدش سائل فيه

قال أحمد بأسى:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. الله يرحمه

- مش قولتلك يا بني محدش بيخرج من هنا سليم
- ما تحطش الكلام ده في دماغك يا عم محمد عشان ربنا يكرمك وتخف وتقوم بالسلامة
- غصب عني يا بني كل يومين تلاتة حد يموت واشوفه وهما مطلعينه على النقالة أنا بوصيك يا بني لما أموت افتكرني بالدعاء.

- ربنا يبارك في عمرك يا حاج ويتم شفاءك على خير

- كله على الله

- ونعم بالله

قال أحمد ذلك ووجد شقيقته سمر دخلت الحجرة ومعها رضيعها استأذن أحمد من الحاج محمد وقال:

- بعد إذنك ياحاج أختي جت هروح أقعد معاها

أومأ الحاج محمد برأسه وقال:
- أتفضل يا بني

ذهب أحمد إلى سمر وحمل مازن عنها وقال:
- أهلا يا أم أحمد

قالت سمر:
- إزيك يا احمد وابويا عامل ايه اتحسن؟
- الحمدلله صحته مش مستقرة بياخد منوم عشان يعرف ينام ده غير المسكنات بس إن شاء الله هيبقى كويس
- إن شاء الله

جلس أحمد وقال:
- اقعدي يا سمر
لاحظ عدم وجود ميدو فقال
- أومال فين ميدو
- راح رحلة تبع المدرسة والله ماكنتش عايزه أوديه عشان أبويا

قاطعها أحمد وقال:
- إيه الكلام ده يا سمر ده طفل هو ذنبه إيه خليه يفرح ويتبسط

أكملت سمر:
- بس هو طالعها ببلاش تبع المتفوقين وخلى الميس بتاعته تتصل تقولي أطلعه الرحلة آخر ما زهقت وافقت وخلاص
- طالعة فين الرحلة دي بقى اكيد حديقة الحيوان وكوكو بارك

ضحكت سمر وقالت:
- والمتحف المصري

سمعت سمر رنين هاتفها أخرجت الهاتف وقالت باستغراب:
- ايه ده! ده الميس بتاعته
قال أحمد وهو يلاعب مازن:
- طب ردي يمكن ميدو عايز حاجة

فتحت سمر المكالمة سمعت ضجيج وصريخ فقالت متلهفة:
- الو

قالت مها مدرسة أحمد ابنها بصوت واهن:
- أيوه يامدام سمر اتوبيس الرحلة عمل حادثة واحنا في المستشفى تعالي شوفي أحمد

نهضت سمر وقالت بفزع:

- مستشفى ايه؟!!!

- الدمراش

قال أحمد:
- في إيه يا سمر؟

قالت سمر باكية وهي تركض:
- أتوبيس الرحلة عمل حادثة وميدو في المستشفى يا ريتني ما وديته يا ريتني

لحق بها أحمد وقال:
- طب استني أنا جاي معاك

*****

طوال الطريق كانت سمر تبكي وتقول:
- استر يا رب.. استر يا رب

قال أحمد:
- اهدي يا سمر إن شاء الله حاجة بسيطة

كان أحمد قلقًا للغاية ولكن كان يهدئ من روعها

أخرج أحمد هاتفه وقال:
- اسكتي ياسمر عشان هكلم ريم تقول لأمي تروح تقعد مع أبويا في المستشفى لحد ما أ روحله مش عايزها تسمعك عشان ما يقلقوش

تماسكت سمر وهاتف أحمد ريم وقال:
- أيوه يا ريم.. قولي لأمك تروح المستشفى تقعد مع أبوك لحد ما أرجع

قالت ريم:
- ليه أنت فين
- أنا في مشوار و هرجع على طول.. بس عشان ما نسيبوش لواحده

- خلاص ماشي

- سلام

أغلق أحمد الهاتف وكانا وصلا إلى المستشفى وركض الاثنان إلى الداخل اتجها إلى قسم الطوارئ وجدا الحال ليس على ما يرام.. سيارات الإسعاف تملأ المكان والأهالي تبكي وممرضات وأطباء يركضون، دخل أحمد وسمر حجرة بها الأطفال، ظلت سمر وأحمد يبحثون في الوجوه التي قد فارقت الحياة والتي ما زالت على قيد الحياة عن أحمد ابن سمر تكرر ذلك المشهد مرة ثانية لأحمد ولكن بشخص آخر مختلف قريب من قلبه أيضًا حتى وجدوه، وحوله طبيب وممرضة يسعفونه فقد كان على قيد الحياة، قالت سمر بلهفة:
- ابني حبيبي وارتمت عليه

فجذبها الطبيب والممرضة وقال الطبيب:
- اهدي يامدام هتبوظي الدنيا

بعدت سمر وربت أحمد على كتفها وقال:
- االحمدي ربنا إنه عايش.. إن شاء الله هيبقى كويس
- الحمد لله ألف حمد وشكر ليك يا رب

أنهى الطبيب ما يفعله وقالت سمر:
- طمني يادكتور حصله ايه
- كسر في دراعه اليمين وكدمات بس.. هو دلوقتي مغم عليه من الخضة وهيفوق

قالت سمر:
- الحمد لله اللي ييجي في الريش بقشيش

سمعت جوارها امرأه تبكي نظرت فوجدت امرأة تحتضن طفلها ميتًا، كان وجه الطفل مألوفًا ولكن الدماء تشوهه، عقدت حاجبيها متأثرة سمعت أمه تقول وهي تبكي:
- قوم يا آسر عشان خاطري.. قوم يا آسر

تذكرته عند سماع اسمه، إنه آسر صديق ولدها، شهقت ووضعت يدها على فمها وقالت:
- آسر!!
وبكت قال أحمد متأثرا:
- تعرفيه؟
- صاحب ميدو وقاعد جنبه في الديسك

ذهبت ذاكرة أحمد إلى يوم وفاة عبد الله صديقه فأغمض عينيه بقوة وقال:
- طب يلا هطلع أوقف تاكسي وناخد أحمد ونمشي الحمد لله هو كويس.

ذهب أحمد يوقف سيارة أجرة وجلست سمر تواسي أم آسر.

*****

"مش ناوي تيجي بقى ولا إيه شكل القاعدة عندك عجبتك موحشتكش أمك يا واد"

قالتها صفاء وهي تحدث حازم في الهاتف، ضحك حازم وقال:
- هي من ناحية القاعدة عجبتني فهي عجبتني.. لكن انتي وحشتيني جد ًا جد ًا جد ًا
- يا واد بطل بكش أومال مش عايز تيجي ليه طالما وحشتك تلاتة جد ًا

قال حازم بجدية:
- مش قولنا انتوا اللي هتيجوا بقى زيارة.. انتي نسيتي ولا ايه ده أنا مقدم طلب للسفارة، وبعدين أنا مش هاجي إلا لما اعمل ٣مراكز على الأقل لعلاج السرطان إن شاء الله، واحد في القاهرة وواحد في اسكندرية وواحد في الصعيد
- ربنا يحققلك اللي بتتمناه يابني وتبقى أكبر دكتور أورام في العالم كله.

قال حازم مبتسم ًا:
- امين يارب.. امشوا في إجراءات السفر بقى عشان تيجوا ٣شهور زيارة

- حاضر.. هدير قربت تخلص امتحانات أهي
- تمام يلا عايزه حاجة يا ماما؟
- لا يا حبيبي خد بالك من نفسك وك ُل كويس واتغطى كويس

- حاضر
- يلا سلام عشان معطلكش بقالي ساعة برغي

ضحك حازم وقال:
- سلام ياست الكل

*****

نظرت رحمة في ساعتها وجدتها الثامنة صباح ًا بالدقيقة جلست على مقعد في المكتبة تهز قدميها، كان أحمد وحسين لم يأتوا، بعد دقائق أتى أحمد وخلفه حسين قامت رحمة وقالت:
- مردتش امبارح علي مكالماتي ليه؟

أخذ أحمد الشريط الذي به البطاقة التي تحمل اسمه وعلقها في رقبته وهو يقول:
- حصل كام حاجة كده والله مافضيت دقيقة من امبارح

جلست رحمة وقالت:

- طب أقعد احكيلي حصل ايه؟ وشكلك زعلان ليه؟

جلس أحمد قبالتها وقال:
- روحنا نزور عبدالله امبارح وبعدين روحت لأبويا على المستشفى وبعدين سمر جت وجالها تليفون إن أحمد ابنها أتوبيس الرحلة بتاعه عمل حادثة وجرينا أنا وهي على المستشفى.

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- ده اتوبيس رحلة ابتدائي اللي اتقلب على كوبري ١٥مايو ومات ٢٢طفل ومـ ـُدرستين

اومأ أحمد برأسه قائلًا:
- أه هو

- أحمد ابن أختك الحمد لله كويس صح!
- الحمد لله بس ليه أصحاب ماتوا ونفسيته وحشة جد ـًا

قالت رحمة بأسى:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يصبره ويشفيه

واستطردت شوفت خبر امبارح إن الحكومة بتقول هتدي تعويض ٥ آلاف جنيه لأسرة الفقيد.. بيستعبطوا والله على أساس إن الخمس آلاف هيعوضوا اللي مات

قال أحمد ساخرًا:
- شوفي الحكومة بتاعتنا دي دماغ.. يعني مات ٢٤ بالمدرسين وهيدوا لكل أسرة ٥ آلاف شوفي بقى ٥*٢٤ ب ١٢٠ال ١٢٠ألف دول كان أولى يصلحوا بيهم الطريق قبل الحادثة ما تحصل.. ده غير الحوادث اللي بتحصل كل يوم وناس كتير بتموت فيها بس نقول ايه ربنا يعدلها
- يا رب.
قالت ذلك وصمتت قليلًا ثم أكملت:
- ماما عايزانا نسافر ٣ شهور زيارة لحازم في سويسرا

نظر لها أحمد وقال:
- وانت هتروحي؟
- لا طبعا مش هقدر أقعد ٣شهور من غير ما شوفك ده أنا يوم الجمعة ببقى مش طايقة نفسي

ابتسم أحمد قائلًا:
- انا بقى كل يوم بعد ما بسيبك ببقى مش طايق نفسي

ابتسمت رحمة وقالت:
- ايه ده.. يعني أنت بتحبني أكتر؟

- عندك شك في كده

- أه طبعا.. أنا بحبك أكتر

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- لا أنا عارف أنا بقول ايه.. أنا أكتر

مر حسين من جوارهم وقال:
- على وضعكم

ضحكت رحمة وقالت:
- شوف يسيب النكد كله ومايجيش غير في الحتة دي ويحقد على الفاضي

ضحك أحمد قائلًا:
- ابن حلال حسين

دق هاتف أحمد أخرجه وجد المتصل هواري فتح المكالمة وقال:
- طبعا مكلمني تقولي أخلي أمي تفضل في المستشفى عند أبويا وأجي على البيت عشان عايز تيجي النهاردة

ضحك هواري وهو يقول:
- حبيبي يا فاهمني ايه الدماغ دي

- طيب يا معلم ابقى قول لريم تقول لأمي بقى تخليها لحد ما أروحلها

- لا ما أنا خلاص قُلت لريم

- ده انتوا مرتبين كل حاجة بقى

- ده بعد إذنك طبعًا يا معلم

- انت خليت فيها اذن يا بني.. على العموم ماشي هطلع على البيت

- اشطة سلام

- سلام

*****

ماتقوم يا احمد تعملنا شاي

قالها هواري مداعبًا أثناء جلوسه مع ريم وأحمد

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- يكونش أنا صبي القهوة بتاعك يالا.. ما خطيبتك أهي تقوم تعملك ده أنت بجح وبعدين خمس دقايق وهمشيك أصلا عشان هروح المستشفى فأقعدهم بأدبك.

قال هواري:
- مسيرك يا ملوخية تيجي تحت المخرطة.. هانت تلات أربع شهور ونتجوز وهذلك في بيتي زي مابتذلني كده بالظبط

قال أحمد:
- يابني قولتلك اقعد بأدبك انت ضيف رخم ليه

قال هواري:
- انت مش طايقني ليه؟ بص يا أحمد أنت تاخدني آر كي أوه وتروح داخل جايب ساطور من جوه وتقوم غزه في كليتي الشمال ونخلص

تدخلت ريم قائلة:
- بس احنا معندناش سواطير

عقد هواري حاجبيه وقال:
- يعني انتي كل اعتراضك على الساطور! ومش مشكلة عندك إني هبقى جثة هامدة

فضحك أحمد وقال هواري موجها حديثه لأحمد:
- بتقول معندكوش سواطير

قال أحمد:
- بتحبك أوي

*****

ايه رأيك بقى في موضوع السفر بعد امتحانات هدير نروح زيارة لحازم ٣شهور وأنت تاخد أجازة بدون مرتب من الشغل وتيجي معانا.

قالتها صفاء موجهة حديثها إلى شاهين أثناء جلوس الأسرة حول المائدة لتناول طعام العشاء، مضغ شاهين اللقمة التي في فمه وقال:
- والله معنديش مانع.. أنا فعلًا محتاج لده

قالت رحمة:
- بس أنا مش عايزه أسافر

عقد شاهين حاجبيه وقال:
- ليه!

قالت رحمة:
- هقعد عند تيتا عشان شغلي

تدخلت صفاء قائلة:
- على أساس إنك دكتورة في الجامعة

قالت رحمة:
- ياماما لو سافرت أستاذ مجدي هيجيب غيري

قال شاهين:
- مايجيب هو مفيش إلا الشغل ده.. لو كان وظيفة كنت قُلت ماشي لكن ده شغل عادي هتلاقي غيره كتير

تدخلت هدير أخيرًا وقالت:
- يابنتي حد يجيله فرصة سفر لسويسرا ويقول لاء؟ أنت دايمًا غاوية فقر كده ده لو ينفع الزيارة أكتر من ٣شهور ممكن أأجل سنة تالتة عادي

قالت صفاء:
- قوليلها

قالت رحمة:
- معلش ياجماعة أنا مش حابه أسافر

قالت صفاء:
- وأنا مش هطمن عليك وأنا هنا

أنهى شاهين طعامه وقال وهو قائم:
- ماما عندها حق يارحمة لازم تروحي معانا عشان مانبقاش قلقانين عليك.

تركت رحمة الملعقة من يدها وقامت وهي تقول:
- بعد امتحانات هدير نبقى نتكلم

قالت صفاء:
- هدير باقيلها اسبوعين وتخلص وهنبدأ في إجراءات السفر من بكرة.

*****

شكلك زعلانة.

قالها أحمد أثناء جلوسه جوار رحمة في المكتبة.

قالت رحمة:
- ماما مصرة تسفرني معاهم

زم أحمد شفتيه وقال:
- يعني ممكن تسفرك غصب عنك

- مش ممكن.. ده اكيد.

- طب وبعدين
- مش عارفه.. بس أنا مش عايزه أسافر، أنت عارف لو سافرت ايه هيحصل؟ أستاذ مجدي هيجيب واحدة غيري ومش هنشوف بعض بعد كده. وأكملت بحزن
- واحتمال تنساني
- ايه الهبل ده! أنساكِ ازاي يعني انتي مجنونة؟

قالت رحمة:
- لا

- فكري طيب!
- ما أنا مش هقدر أبقى مش بشوفك كل يوم.. وكمان المشكلة في إنه لو جاب واحدة تانية مش هيبقى في فرص نشوف بعض تاني

- أنا هحاول مع أستاذ مجدي أشيل شغلك لحد ماترجعي

- مش هيرضى ده 3 شهور

صمت أحمد مفكر ًا ثم قال:
- جاتلي فكرة كويسة

قالت رحمة متلهفة:
- ايه هي؟
- تتفقي مع واحدة تشتغل مكانك لحد ماترجعي
- ماليش أصحاب ما أنت عارف.. وبعدين مش عايزاك تشتغل مع واحدة غيري أصلا

ضحك أحمد قائلًا:

- احنا في ايه ولا في ايه أنت ِكمان.. اطمني أنت ِمالية عيني، ده غير إني أصلا مش ببص لبنات

قالت رحمة:
- أنا ضمناك أنت.. بس مش ضامنة اللي هتيجي

مسك أحمد الشريط المعلق برقبته وقال:
- خلاص أنا اعلق كارنية كمان زي ده ومكتوب عليه ملكية خاصة لرحمة شاهين

ابتسمت رحمة وقالت:
- اتريق اتريق.
صمتت قليلًا وقالت متحمسة لفكرتها:
- طب ايه رأيك تقول لريم أو بسمة؟

ضحك أحمد قائلًا:
- حويطة يارحمة

*****

ذهب أحمد بعد انتهاء العمل إلى المستشفى لم يجد أمه جوار أبيه ،فجلس جوار أبيه النائم دقائق ووجد عزيزة دخلت الغرفة فقال أحمد:
- كنت ِفين ياماما؟

قالت عزيزة وهي تمسح يديها في جلبابها من بقايا قطرات ماء:
- كنت بتوضى ماكنش في مايه في الحمامات نزلت أجيب من تحت
- هو أبويا نايم من زمان؟
- أه بقاله أكتر من ساعتين.. صحيه ياخد العلاج على ما أصلي المغرب جنبك
- حاضر

التف أحمد يوقظ أباه ضغط على كتفه وقال:
- بابا ..يا حاج

لم يستيقظ كمال فتركه أحمد، ونظر جواره، عبث بالأدوية التي فوق الكمودينو جوار السرير، مسك بخاخة ضيق التنفس وجدها فارغة، فنزل يبتاع له أخرى، ابتاعها وجاء دلف الحجرة وجد عزيزة ممسكة بيد كمال أول ما رأته قالت صارخة:
- الحقني يا أحمد.. مش عارفة أبوك ماله

ظل أحمد يوقظ أباه لم يستجب، استدعى ممرضة كانت تمر على المرضى، جاءت مسكت يد كمال تقيس النبض وقالت:

- البقاء لله المريض اتوفى.
فقد صعدت روح كمال إلى ربها في هدوء، بعدما بغلت منه الأمراض مبلغها وأنهكته لـ سنوات عدة.

ظلت عزيزة تصرخ وأحمد يهدئها وهو متماسك، ويضم شفتيه إلى أن اتصل بصديقه هواري وأبلغه ذلك الخبر ليأتي ينهي معه إجراءات الخروج.

وكان المرضى يتابعونهم متأثرين، ومن ضمنهم الحاج محمد أيض ًا كان يتابعهم بعيون مليئة بالأسى، مساكين هؤلاء المرضى ينتظرون موعدهم في هدوء كلما ينبت أمل في الشفاء بداخلهم ينتزعه وفاة مريض إثر الآخر.

*****

استقرت سيارة تكريم الإنسان أمام عقار أحمد، وأخرجوا كمال ميتا وصعدوا به إلى منزله، وانطلقت صرخات مدوية من ذلك المنزل واختلط البكاء والنياح بالصراخ وصعد الجيران جميعهم إلى منزل أحمد عند سماع تلك الصراخات وامتلأ البيت عن آخره بالجيران، وجاء ت بسمة احتضنت ريم وظلتا تبكيان سويا.

*****

بينما كانت رحمة جالسة مع أمها أمام التلفاز فقالت صفاء:
- بكرة هتروحي تعملي جوازات سفر انت وهدير.. انتي عارفة أنا وأبوك عاملين من ساعة العمرة

قالت رحمة:
- ياماما ق ُلتلك هروح عند تيتا لحد ماتيجوا

قالت صفاء بحزم:
- قولتلك هتسافري معانا.. بطلي دلع بقى

- طب مش هدير عندها امتحان بكرة

- لا لسه يوم الخميس

استاءت رحمة فقامت ودلفت حجرتها أمسكت هاتفها ودقت على أحمد كي تبلغه أنها لن تذهب إلى العمل غدا حاولت مرار ًا ولم يجب.

*****

عادت بسمة إلى بيتها متأخر ًا دلفت حجرتها وظلت تبكي أمسكت إطارا به صورة تجمع

عبد الله مع أمها، كان موضوعا على الكومودينو جوار سريرها، أخذتها وظلت تحدثهم كأنهم أمامها وتقول:
- أنا تعبت بجد من بعدكم، الدنيا وحشة أوي من غيركم.. ومفيش حاجة تفرح نفسي اجيلكم بقى. واستطردت موجهة حديثها إلى أمها، وهي تمسح دموعها:
- ماما هو عبد الله جالك! صمتت قليلا وتابعت عبدالله كان مهو ّن عليا فراقك أوي يا ماما، أكيد انتوا في مكان أحسن من هنا بكتير. صمتت قليلا وقالت بابتسامة باهتة:
- أصلا أي مكان أحسن من هنا صح؟ حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الإهمال.

قالت ذلك ثم انفجرت باكية وقالت:
- أنا نفسي أجي عندكم بقى. وأكملت واهنة وهي تتغنى بالطريقة التي كانت تغني بها أ مها لهم "عبد الله ياقلبي يانص القمر.. وبسمة حبيبتي النص التاني من القمر .. عبد الله ..وبسمة يبقى اكتمل القمر"

صمتت لحظة وقالت مبتسمة:
- فاكرة ياماما أما كنتي بتغني ليا أنا وعبدالله الاغنية دي واحنا صغيرين؟

قالت ذلك وضحكت بهستريا ثم زمت شفتها وظلت تنظر يمين ويسار كأنها ج ُنت فجاء ت في ذهنها فكرة كانت لا تلقي لها بالا وقامت على الفور لتنفذها، فتحت درج الكومودينو وأخذت مقصا، وفتحت الشرفة قصت حبلا من أحبال الغسيل، ودخلت حجرتها سريع ًا، وقفت على مقعد ووضعت وسادتين عليه حتى تطول السقف عقدت الحبل ونزلت، ظلت تنظر إلى الإطار وتبكي، فأحضرت ورقة وقلم وبدأت تكتب ودموعها تسيل بغزارة، أنهت ماتكتبه وكان المحتوى الذي كتبته: "أنا عارفة إن الإنتحار حرام وكفر، بس أنا مش قادرة أ عيش أكتر من كده، أكيد ربنا عارف ظروفي وهيسامحني، لو عشت زيادة هتجنن وهبقى عالة عليكوا كده أحسن هعيش ليه وعشان ايه؟ أصلا كل حاجة بقيت تقرف وكل حاجة فيها إهمال أمي ماتت بسبب الفقر وعبد الله غرق بسبب الفقر حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الفقر والإهمال مش هو بس.. أكيد في كتير ماتوا النهاردة زيه وزي أمي وزي عبد الله، مش عايزه استنى لما ييجيلي مرض وأموت في مستشفى عامة على سرير مات عليه كتير قبلي، مش عايزه استنى لما أموت على طريق في حادثة مش عايزه استنى لما أموت من الفقر والإهمال.. كده كده هموت بس دلوقتي أحسن والله مش قادرة أصبر سامحني يا بابا سامحني يا عمر" ثنت الورقة ووضعتها على الأرض جوارها وقامت وقفت على المقعد ولفت الحبل حول رقبتها ونفضت المقعد بقدميها بعيد ًا

*****

اتجهت رحمة وهدير باكر ًا إلى قسم الوثائق بالمصلحة التابعين له، الم ُقر بمجمع التحرير لكي تستخرجا جوازات السفر، بعد أن جهزت الاثنتان جميع أوارقهم والصور ذات

الخلفية البيضاء وجدتا زحاما غير عادي، فوقفتا في الصفوف الطويلة، أخرجت رحمة هاتفها ودقت على أحمد كي تبلغه بغيابها اليوم، ولكن لم تحصل على رد اليوم أيضًا فهاتفت رئيس عملها الأستاذ مجدي وهبة لتستأذن منه غيابها اليوم وظلت تكرر اتصالها بأحمد من حين لآخر دون جدوى، فوقفت مستاءة حتى قالت هدير:
- رحمة احنا نسينا حاجة مهمة جدًا
- نسينا ايه!

- شهادة قيد الدراسة بتاعتي

- طب وبعدين

- هنعمل ايه

قالت رحمة بضيق:
- معرفش انا مش طايقة السفرية دي أصلا.. يارب مانسافر خالص. واستطردت :يلا نمشي بقى لما تبقي تجيبيها أنا هروح الشغل وانتي روحي البيت

- لا ممكن نروح نجيبها من الجامعة ونيجي حتى تكون الزحمة دي خفت شوية

- خفت ايه! دي بتزيد

صمتت هدير مفكرة ثم قالت:
- احنا هنستأذن من الست اللي قدامنا أو اللي ورانا ونعرفهم إن ده مكاننا لحد مانروح نجيبها من الجامعة ونيجي حتى بدل مانفضل واقفين هنا ونتعب
- طب قوليلهم شوفي هيقولولك ايه

قالت هدير للسيدة الخمسينية التي خلفهم أنهما ستذهبا إلى الجامعة لإحضار إحدى الأوراق الناقصة ويجيئون سريعًا وأن تحفظ لهم مكانهم في الصف فوافقت دون تردد وقالت:
- روحي يابنتي ماتقلقيش مكانكم زي ماهو

قالت هدير:
- ربنا يكرمك يا حاجة

وذهبت مع رحمة إلى الجامعة.

*****

كان وقت الظهيرة و القرآن مسموع في بيت أحمد بصوت مرتفع نوعا ما، وريم ومنار في حجرتهم يبكون ومعهم بعض جيرانهم يهدئونهم وعزيزة جالسة تبكي في صمت دون

شهيق، الدموع تنساب من عينيها فقط وحولها النساء بالملابس السوداء ليعزوها وسمر ج السة معهم تبكي بصوت مرتفع.

ربتا من بجوارها على ظهرها وقالت إحداهم:
- ارتاح من المرض ادعيله ياسمر.. ماتعمليش كده اومال اخواتك الصغيرين يعملوا ايه

أما أحمد كان جالسا في الغرفة التي بها الرجال عاقدا ذراعيه أمام صدره وناظرا أمامه بشرود، يكسو ملامح وجهه حزن عميق، وكان هواري وياسين يقدمون القهوة والشاي للمعزيين

*****

فتح سيد والد بسمة باب حجرتها وهو يقول:
- كل ده نوم يا بسمة

نظر إلى السرير لم يجدها، جال الحجرة بعينيه فوجد قدميها تهتزان في الهواء، رفع نظره لأعلى، فوجدها معلقة بحبل من رقبتها في السقف ووجهها مختنق ومتغير لونه، صعق من هول ما رآه، واختل توازنه، فأمسك مقبض الباب كي لا يسقط أرضا، وظل صامتا تحت تأثير الصدمة، رأى عمر أباه هكذا نادى عليه فلم يجبه ذهب إليه وقال:
- مالك يا بابا؟

فرأى ذلك المشهد الذي رآه أبوه قبل قليل، فلف رأسه وصرخ بصوت مرتفع:
- لاااا

واحتضن أباه ودفن رأسه في صدره وظلا يبكيان سويا

*****

كانت أم محمود إحدى سكان منطقة أحمد وعبد الله في شرفتها تلملم غسيلها المنشور فوقع نظرها دون قصد على حجرة بسمة فبسمة عندما خرجت إلى الشرفة تقطع الحبل لم تغلق الشيش وراءها.

لم تنتبه أم محمود جيدا لما رأت، ثم تذكرت أنها رأت مشهدا غير عادي، فعادت بعينيها ثانية رأت بسمة معلقة فظلت تصرخ بصوت مرتفع وهي تقول:
- الحقوا بسمة

حتى فزعوا الجيران وفزع من بالعزاء في منزل أحمد، وتجمعوا يسألون مابها؟ فأشارت لهم على شرفة بسمة وكررت مرتجفة:
- الحقوا بسمة ..الحقوا بسمة

صعدت ريم إلى شقة بسمة سريع ًا، وكثير من الجيران أيض ًا، دخلت ريم رأتها هكذا فسقطت مغشيا عليها، ونزل طفل صغير يركض يبلغ أمه ماحدث، فقابله هواري وأحمد، فقال أحمد:
- في ايه يا أسامة عند عم سيد؟

قال أسامة:
- الحقوا ده ريم اغم عليها فوق وبسمة انتحرت وشنقت نفسها

تركه الاثنان واتجها إلى العقار الذي به بيت عبد الله، وصعدا السلم سريع ًا وجدا الأمر حقيقيا عكس ما ظنا، والبيت مليئ ًا بالجيران الذين يهمهمون بعضهم يقول:
- لا حول ولا قوة إلا بالله

والبعض الآخر حزين.

فاخترق الاثنان الزحام حتى وصلا إلى ريم، وكان بعض من الجيرة يصحونها، نظر أحمد وهواري إلى بسمة المعلقة نظرة أسى، فوقع نظر أحمد على الورقة المثنية تحتها، أخذها وقرأ ما بها فسقطت دموعه رغما عنه، ووضعها على السرير وأخذ ريم يسندها و هواري إلى بيتها، وعاد الاثنان ثانية إلى عم سيد وعمر، يواسونهما ويقفان بجانبهما في هذه المحنة المفجعة.

*****

جاء وقت العشاء وكانت رحمة مستاءة إلى أقصى درجة، حتى الآن لم يجب أحمد على مكالماتها التي قد تعدت المائة، فخرجت من حجرتها جلست جوار صفاء وهدير فقالت هدير مداعبة:
- رحمة لو عرفت اللي فيها هتروح فيها.. ده كانت ناقصة تعيط النهاردة في المجمع من الزحمة

قالت رحمة بتأفف:
- ده ايه ده ..حاجة تقرف والله الطابور لو اتحسب ممكن يعدي اتنين كيلو متر

قالت صفاء وهي تضحك:
- أهو كلنا هنروح طابور بكرة

قالت رحمة باستغراب:
- ليه ماهو مش معقول الباسبور بيطلع تاني يوم يعني

قالت هدير:
- لا.. لازم نجيب شهادة تحركات قال عشان مسافرين منطقة الشنجن حازم اللي قال كده

لما كلم ماما النهاردة.

قالت رحمة بضيق:
- ايه الاختراعات دي؟ ايه منطقة الشنجن دي؟ هي وشهادة التحركات دي كمان؟

قالت صفاء:
- منطقة الشنجن دي بتضم ٢٦ دولة أوروبية ومن ضمنها سويسرا وشهادة التحركات دي اللي بتوضح آخر سبع سنين سافرتي فين وجيتي منين

قالت رحمة:
- طب أنا مسافرتش قبل كده

قالت هدير:
- قـ ـلت لحازم كده وقال لازم نجيبها برضه

قالت رحمة بتأفف:
- اوف بقى أنا بكره اليوم اللي بروح فيه أي مصلحة حكومية ومعلش خليها الأسبوع الجاي بقى عشان ماينفعش أغيب بكرة كمان أستاذ مجدي كده هيطردني قبل ما أسافر

قالت صفاء:
- لا بكرة عايزين نخلص كل حاجة بسرعة عشان حازم وحشني أوي.. أخوك ـِ موحشكيش يابت؟

قالت رحمة:
- وحشني جد ـًا طبع ـًا بس

قاطعتها صفاء وقالت:
- مابسش كلنا هنروح بكرة.. أصلا المفروض ماتروحيش الشغل بقى تاني لحد مانسافر

صمتت رحمة في ضيق

فقالت هدير وهي ممسكة بهاتفها وتوجه شاشتها نحو أمها:
- بصي ياماما جبت كل المعلومات أهي عن شهادة المراقبة اللي هي التحركات بتطلع من مجمع التحرير وبتتسلم بعد ١٤ يوم عشان نرتب مع السفارة وكده

قالت صفاء:
- متأكدة

قالت هدير:
- أه الكلام ده من على موقع وزارة الداخلية يعني كلام أكيد.

فكانت هدير أكثر المتحمسين لتلك السفرية

*****

استلقى أحمد على سريره بعد يوم شاق من أخذ عزاء أبيه إلى دفن بسمة، وزيارته لقبر أ بيه وقبر عبد الله صديقه، تذكر الكلمات التي قرأها في الورقة التي تركتها بسمة، ظلت ت لك الجملة "حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الفقر والإهمال" تجعله يختنق كلما تذكرها وظلت دموع القهر تنساب من عينيه.

*****

تقلبت رحمة على جنبها الآخر كانت مؤرقة كثيرا، استلقت على سريرها منذ ساعتين وإلى الآن لم تنم، فجلست موضعها على السرير وضعت إحدى يديها على وجنتها وقالت:
- استغفر الله العظيم مش عارفة أنام خالص.. الله يسامحك يا أحمد

فأخذت هاتفها من جوارها وجدت الساعة الثانية صباح ًا ففتحت موقع التواصل الا جتماعي "فيس بوك" ترى أحمد نشطا أم لا فرأته غير نشط ووجدت أحد الأصدقاء مدون ًا منشورا عنده منذ أمس يقول به خبر موت أبيه ويبلغ الناس بموعد صلاة الجنازة و الدفن.

فاتسعت عين رحمة دهشة وظلت تبكي ليس حزن ًا على أبيه فهي لا تعرفه، ولكن للحزن الذي سببه موت أبيه في قلب أحمد، كانت تريد أن تكون جواره في تلك المحنة وما ضايقها أكثر أنها ستسافر وهو في تلك المحنة، ظلت تدعو أن لا تسافر وتبقى في مصر لتكون معه في هذه الفترة العصيبة

*****

جاء الصباح وتوجهت أسرة رحمة جميعها إلى مجمع التحرير كي يستخرجوا شهادة المراقبة، كانت رحمة صامتة تمام ًا منذ أن قامت إلى أن ذهبوا إلى المجمع وجدوا مئات المواطنين أمام شباك استخراج شهادة المراقبة، وموظف واحد هو من يقوم بعمل ذلك للمواطنين. البيروقراطية الشديدة والروتين القاتل يجبرون الشعب أن يتحمل تلك المعاناة جراء استيفاء إجراءات يريدها ويهدر الكثير من وقته وجهده، وقف شاهين وصفاء وهدير ورحمة في الصف أكثر من ساعة، وكل حين تحدث مشادة كلامية بين بعض المواطنين أو بين مواطن وأحد الموظفين، فذهب شاهين إلى أحد الموظفين وقال له:
- بقالي كتير واقف أنا والاسرة وتعبت.. ماينفعش تمشيلي المصلحة دي

قال الموظف:
- نمشيهالك ياباشا بس تشربنا شاي

قال ذلك وهو يضغط بإبهامه على سبابته

فهم شاهين مقصده وقال بسخرية:
- أؤمر

- ورقة ب ١٠٠أصل كوباية الشاي ب٢٥ وانتوا أربعة وأنا راجل حقاني
- ده انتوا بتغلوا الشاي مع الاسعار بقى.. أنا آخر مرة جيت هنا كانت كوباية الشاي سعرها بيتراوح من ١٠ ل ١٥

- كل حاجة بتغلى ياباشا عايز الشاي مايغلاش

ابتسم شاهين بمرارة وقال:
- لا عندك حق اشمعنى الشاي مايغلاش

وأخرج من جيبه مئة جنيها وأعطاها له وقال:
- طب اتفضل ياعم الحقاني وخلصلي المصلحة

ابتسم الموظف وهو يأخذ المائة جنيه وجذب له مقعد ًا وقال:
- ارتاح يا باشا خمس دقايق وهتخلص المصلحة

*****

دلف هواري إلى المطبخ في بيت أحمد يضع أكواب الشاي وفناجين القهوة الفارغة أثناء خروجه وجد ريم وحدها جالسة بعباءتها السوداء على أحد المقاعد واضعة يدها على ذقنها والدموع تنساب من عينيها، جذب مقعدا أمامها وجلس عليه وقال:
- ريم انتي عارفة إن عم كمال كان تعبان أوي، والله ربنا رحمه .. يعني وهو عايش تعبان كده ماكنتيش بتتعذبي!

قالت ريم باكية:
- ودلوقتي العذاب بقى أضعاف
صمتت قليلا واستطردت:
- وكمان بسمة في نفس الوقت اللي محتاجاها فيه تهو ّن عليا تضعف هي بالطريقة دي.
صمتت ثانية واستطردت دامعة : مش قادرة أنسى شكلها
- بس ده اختبار من ربنا ولازم نصبر على الإبتلاء واحنا راضيين عشان ناخد الأجر مفيش اختيار تاني

لم تعقب ريم وبكت أكثر فقال هواري:
- طب هو الحزن والعياط بيرجعوا الميت

قالت ريم:
- قول الكلام ده لنفسك يا محمد مش ليا.. كلنا عارفين إن الحزن والعياط مش بيرجعوا الميت ومع ذلك بنموت من الحزن والعياط عشان فكرة الفراق نفسها. صمتت قليلا وأكملت:
- فكرة إنك مش هتشوفه تاني أبد ًا دي حاجة كفيلة إنها تموتك من الوجع وعلى فكرة احنا مش بنعيط وبنحزن على الميت لأنه ارتاح من الدنيا وقرفها احنا بنعيط وبنحزن على نفسنا اننا هنكمل بقية حياتنا من غيره. صمتت قليلا ثم قالت:
- انت نفسك من ساعة عبد الله ما مات وأنت مابقتش زي الأول على طول سرحان أو بتهز ر وبتضحك على أي حاجة مع ان الحزن باين جد ًا في عنيك. صمتت قليلا واستطردت :
- أصل الميت عمره ماهيرجع والمشتاق له عمره ماهيبطل يشتاق له.

صمت هواري قليلا وقال بهدوء:
- طب ممكن على الأقل بلاش تعيطي قدامي.

قال ذلك ونهض من مكانه وتركها.

*****

في اليوم التالي ذهبت رحمة إلى العمل دلفت المكتبة وجدت حسين فقالت:
- أحمد لسه مجاش

قال حسين:
- مجاش من يوم الاتنين زيك تقريبا هييجي النهاردة.. ويعدين أنت ِ كنت غايبة معاه ليه! طب هو ابوه مات وفي العزا أنت مكنتيش بتيجي ليه ده أنا اتفحت شغل

جلست رحمة وقالت:
- كنت باتنيل أعمل إجراءات السفر.. بس أنت عرفت ازاي إن أبوه مات؟ ده أنا معرفتش غير أول امبارح بالليل.

- اتصل بأستاذ مجدي وقاله حتى روحنا عزيناه امبارح

- وأحمد عامل ايه كويس؟

- كويس ربنا يصبره

قالت رحمة:
- يارب ويرحم باباه

قال حسين:
- الله يرحمه كلنا هنموت.. بس مالك زعلانة كده من إجراءات السفر حد يزعل إنه هيسافر

بره مصر تيجي نبدل؟

في تلك اللحظة دلف أحمد، فنهضت رحمة سريعا وذهبت إليه، وقالت:
- عامل ايه يا أحمد؟

قال أحمد:
- الحمد لله

قالت رحمة:
- البقاء لله كلنا هنموت
- ونعم بالله

قام حسين سلم عليه وتركهم يجلسون وحدهم ظل الاثنان صامتين، فقطعت ذلك الصمت رحمة وقالت:
- كان نفسي أجي مع حسين وأستاذ مجدي البيت عندك عشان أعزيك وأعزي ريم بس ما كنتش باجي الأيام دي عشان كنت بعمل إجراءات السفر

ظل أحمد صامتا فاستطردت رحمة:
- كمان كان نفسي ماسافرش عشانك.. بس هيسفروني غصب

نظر لها أحمد وقال:
- سافري يا رحمة وانسيني خالص.. ابدأي حياة جديدة أنا مانفعكيش

اتسعت عين رحمة ذهولا وقالت:
- ايه الكلام الغريب ده؟!!
- مش غريب ده اللي قُلته ليكي من أول ما أعترفتلك بحبي

- يعني ايه؟
- يعني أنا بتعذب كل يوم عشان معلقك معايا وأنت مالكيش ذنب ومش هقدر استحمل أكتر من كده

ضمت رحمة شفتيها محاولة التماسك وقالت:
- يبقى أنت ماحبتنيش يا أحمد.

قال أحمد وهو ناظر أمامه:
- أنا مش بقول كده غير عشان بحبك، كل يوم الوضع بيختلف عن الأول وأنت اللي هتخسري في الآخر.. أنا عارف ومتأكد إن أكيد جالك فرص جواز كتير وضيعتيها عشاني

قالت رحمة دامعة:

- بس أنا عمري ما اشتكيت ومبسوطة كده
- وأنا مش مبسوط كده

نظرت رحمة إلى أحمد وقالت:
- عارف يا أحمد أنت مشكلتك إنك ضعيف أول موقف صعب اتحطيت فيه عايز تسيبني بحجة الظروف .. بس أنا مش هاخد على كلامك دلوقتي عشان أنت لسه مصدوم في موت أبوك وبتقول أي كلام.

قال أحمد بانفعال:
- لا مش بقول أي كلام أنا عارف أنا بقول ايه.. أنا اصلا خلاص قررت إني مش هتجوز خالص. صمت قليلا واستطرد : هتجوز ليه؟ عشان أجيب عيال يتعذبوا زيي كده! والله حرام أجيب عيال في بلد زي دي.. هبقى ظالم لو جبت عيال أمرمطهم زيي.

قالت رحمة:
- كل اللي أنت بتقوله ده مش مبرر

نظر أحمد في عينيها وقال:
- لا مبرر عارفة ليه؟ عشان بسمة انتحرت من العيشة في البلد دي، حتى أبويا مات ومعرفتش أعالجه وأمراضه زادت وصاحب عمري مات عشان كان نفسه يعيش عيشة نضيفة عايزاني بقى أتجوز وأجيب عيال في بلد زي دي

قالت رحمة باكية:
- بس أنا يا أحمد بحبك

تحاشى أحمد النظر إليها كي لا يرى دموعها وقال دامعًا أيضًا:
- أنا كمان والله بحبك بس نصيبك كده وقعك في واحد بأس زيي.. صدقيني يا رحمة أنا بحبك وعمري ماحبيت حد قدك بس الظروف كلها ضدي.. صمت قليلا وأكمل: بالله عليك ماتضغطيش عليا ماتحملنيش فوق طاقتي سافري يا رحمة السفر هيكون أحسن ليكي وليا

قالت رحمة:
- بس أنا يا أحمد لو سافرت وأنت مصمم على كلامك ده مش هرجع تاني

قال أحمد بثبات:
- هو ده اللي أنا عايزه.. ابدأي حياة جديدة وأول فرصة جواز تجيلك اتجوزي عشان ماتعذبش أكتر من كده

قالت رحمة بنصف ابتسامة:
- كمان مش فارق معاك لدرجة إني أتجوز!! صمتت قليلا وتابعت: السفر يوم ٢٠ يعني بعد

١٨ يوم يا أحمد راجع نفسك لو سافرت على موقفك ده مش هرجع تاني

قال أحمد متماسكا:
- كلامي زي ماهو.. أنا فكرت كتير قبل ما آخد القرار ده، وجودك جنبي ظلم ليكي وأنا ما تعودتش أظلم حد

- أنت عارف إن بعدك عني اللي هيبقى ظلم ليا
- الظلم إني أفضل معلقك معايا،، أنت ِ بنت ناس وأنا عندي إخوات بنات مرضاش إن يحصلهم كده.. ارتباطنا من البداية غلطة لازم نتحملها لحد ماننسى بعض

قالت رحمة واهنة:
- ارتباطنا غلطة! ممكن بالنسبة ليك لكن بالنسبة ليا عمري ماهعتبر أجمل أيام عشتها غلطة وهفضل طول عمري أحبك وهعيش على الذكريات الجميلة اللي بينا وعلى فكرة الكلام ده مش بضغط عليك بيه أنا بس بعرفك أنت بالنسبة ليا ايه

قال أحمد دامع ًا:
- كفاية بقى يا رحمة وانسيني صدقيني مش هينفع نكمل

قالت رحمة في محاولة أخيرة:
- يعني ده آخر كلام عندك يا أحمد

قال أحمد بثبات:
- أه.. بس لازم تعرفي إني بقول كده لمصلحتك وإني حبيتك بجد وعمري ماحبيت حد زيك.

نهضت رحمة وقالت باكية:
- حب ايه بقى

قالت ذلك وأخذت حقيبتها وغادرت المكتبة، ووضع أحمد رأسه بين كفيه.

*****

مر اسبوعان وكان آخر اختبار لهدير غد ًا، فجاءت إلى رحمة في حجرتها وهي ممسكة بكتاب وقالت:
- رووووما خدي سمعيلي.. وحياة أغلى حاجة عندك ماتقولي لا ده بكرة آخر مادة.

أخذت رحمة الكتاب منها في صمت فقالت هدير:
- اصبري عليا ماتجاوبيش بسرعة لو اتأخرت في الإجابة
أومأت رحمة برأسها موافقة وبدأت تسألها وهدير تجاوب إلى أن جاءت عند إجابة كانت

هدير تسترسل فيها وتقول:
- كيميت كان ذلك الاسم الذى أطلقه المصريون على بلدهم وتلك الكلمة تعني الأرض السوداء ويرمز ذلك الاسم لأرض وادى النيل الطينية الذي يفرقها عن الأرض الحمراء الصحراوية.

جاءت إلى هنا ونظرت إلى رحمة وجدتها شاردة فقالت بصوت مرتفع:
- رحمة!

نظرت لها رحمة وقالت بحزن:
- نعم

قالت هدير باستغراب:
- نعم ايه بقالي ساعة بجاوب وأنت مش هنا
- لا معاك ـ

قالت هدير:
- طيب. وأكملت الإجابة: اليونانيون القدامى عندما جاؤوا إلى مصر وتعايشوا فيها أطلقوا عليها نفس الصفة التي تعني الأراضى الخصبة أو السوداء فأسموها " إيجيبتوس " و ده الا "سم اللي اشتق منه اسم مصر الحالي في اللغات الأوروبية "ايجيبت

فقالت رحمة بضحكة واهنة:
- غلط

قالت هدير بدهشة:
- هو ايه اللي غلط؟

قالت رحمة:
- إيجيبتوس مش يعني الأرض الخصبة أو السودة بيعلموكوا غلط

قالت هدير وما زالت مندهشة:
- اومال معناها ايه؟

قالت رحمة متماسكة:
- الارض الخصبة معناها الخير والرخاء المفروض إيجيبتوس يبقى معناها الأرض الجدباء الصحراوية اللي مفهاش أي خير.. باختصار المفروض يبقى معناها القهر.

نظرت رحمة إلى هدير وجدتها باديـ ًا عليها عدم الفهم فقالت رحمة دامعة:
- مستغربة ليه؟! أه القهر. واستطردت قهر عشان قضت على حلم حازم اللي قعد سنين يـ ـدرس عشان يعمل حاجة للبلد وفي الآخر رفضوه، وعشان عبد الله اللي غرق في البحر

عشان كان بيحلم بحياة كريمة وعشان أحمد اللي معاه حقوق واتمرمط من شغلة لشغلة عشان يصرف على أمه وإخواته ومانفعش إنه يستمر في حلم إنه يبقى قاضي ولا مستشار عشان أبوه كان موظف بسيط. واستطردت باكية : وبعدين أبوه مات عشان ماتوفرلوش فرص علاج كويسة اللي أساسا الدولة هي السبب في مرضه وعشان هواري اللي كان هيموت بسبب طمع وجشع المستشفيات الاستثماري وعشان الطرق والكباري البايظة اللي بيموت عليها أطفال رايحين مدارسهم وكمان عشان حسين اللي حب مرتين واتعذب عشان مش جاهز يفتح بيت لحد ما اقتنع إنه ماينفعش يحب في بلد زي دي وعشان بسمة اللي انتحرت لأنها اتوجعت بما فيه الكفاية وأكيد في حالات شبه دي كتير كل يوم بتحصل. كانت هدير تسمع وهي متأثرة حتى بكت معها دون أن تعرف من تتحدث عنهم رحمة غير أخيها حازم. ارتمت رحمة بين ذراعي هدير وأجهشت بالبكاء دون أن يهمها ش يء، فعندما عادت من عملها منذ أسبوعين في غير موعدها لم تستطع البكاء أمامهم تجنبا لأي أسئلة تتوجه لها عن سر بكائها، واليوم انفجرت طاقتها المكبوتة أمام هدير ولم تستطع الكتمان أكثر من ذلك.

*****

اطلع يا أحمد دخل البضاعة

قالها مجدي لأحمد الذي كان جالسا في ركن من أركان المكتبة وفي يده غلاف كتاب يعبث به دون اهتمام، لم ينتبه له أحمد فقد كان شارد ًا فذهبت له علا التي قد عملت بدل ًا من رحمة وقالت:
- كلم يا أحمد.. أستاذ مجدي بيقولك دخل البضاعة عشان حسين في المخزن.

نهض أحمد وقال:
- ماشي

رمى ما في يده في سلة المهملات وشرع في نقل البضاعة إلى الداخل.

*****

وقفت رحمة في شرفة بيتها تنظر على المارة في الأسفل من الطابق الخامس في شرود بعد قليل أ ثم جلبت هاتفها من حجرتها وفتحت المذكرة وظلت تكتب ماتراه بطريقتها غلقت هاتفها ودخلت حجرتها واستلقت على سريرها تبكي فكانت منتظرة طوال تلك الأ يام أن يهاتفها أحمد، ويبلغها أنه تراجع عن قراره وأن لا حياة له بدونها مثلها.. لا حياة لها بدونه ولكن خابت ظنونها والأيام تتوالى وبدأ العد التنازلي لموعد السفر، يومان فقط وتذهب بلا رجعة وهو يعرف ذلك، وحتى الآن لم يهاتفها ليبلغها رجوعه عن قراره كان ذلك أكثر مايؤلمها.

*****

يا أحمد أنت بتحبها اللي أنت عملته ده أكبر ظلم ليك وليها حرام عليك

قالها هواري وهو جالس مقابل أحمد على المقهى.

نظر له أحمد وصمت قليلا ثم قال بحزن:
- أنا بعشقها مش بحبها بس

قال هواري باستغراب:
- يابني طب ليه تعمل في نفسك كده!

قال أحمد:
- خلينا واقعيين شوية ياهواري.. رحمة بنت كويسة وبنت ناس وأي حد يتمناها، عايزني اربطها بيا وخلاص ودلوقتي الوضع اختلف ومش عارف امتى هكون جاهز دي كده تبقى أ نانية مني مش حب
- ياعم سيبها على الله

قال أحمد بيأس:
- ونعم بالله.. بس انا مقتنع باللي عملته مع إنه والله مش سهل عليا بس كده كده هي خ لاص ميعاد سفرها يوم الخميس الجاي ربنا يوفقها ويساعدها وتنساني
- وأنت هتعرف تنساها!

نظر أحمد إلى هواري وقال:
- لا أنا مش هحاول أنساها اصلا..في حد بينسى قلبه؟! قال ذلك ثم نظر أمامه واستطرد قائلا بنبرة حزينة:
- عارف يا هواري رحمة دي مفيش في الدنيا دي كلها زيها أبدا وعندي اقتناع تام بكده إ ن مفيش ولا هيبقى فيه زيها تاني، باختصار هي حاجة كده زي الظاهرة اللي ممكن تحصل كل ألف سنة مثلا طيبة وجدعة وحنينة جدا .. ساعات بتبقى عصبية وده قليل أوي وأحيانا هبلة بس أنا بحب هبلها ده جدا.. بحبها كلها على بعضها، أنا عارف إن مفيش إنسان كامل، بس أنا مش شايف فيها أي عيوب حتى لو فيها عيوب أنا مش شايفها ومش عايز أشوفها عشان كده هفضل أحبها وعمري ماهحاول حتى إني أنساها.

*****

ظل هواري يقلب في قنوات التلفاز بملل ثم أغلقه ووضع الريموت بجانبه، وجلس شاردا يفكر في حال أحمد، فكان حزينا لحزنه ظل يفكر كيف يجعله يعود إلى حبيبته، فحديثه عنها جعل قلبه ينفطر على حاله فكيف بحال أحمد نفسه وكيف يحبها إلى هذا الحد

ويتركها ويعيش بقية عمره متألم ًا لفراقها، فأخرج هاتفه وهاتف ريم لتفكر معه كيف يجعل أحمد يتراجع عن قراره؟ فتحت ريم المكالمة وقالت بنبرة حزينة:
- الو

فلم يمر على وفاة أبيها وصديقتها الكثير ومازالت مفجعة، وتأقلم هواري على ذلك فقال:

- ايه يا حبيبتي عاملة ايه؟

- الحمدلله أنت عامل ايه

- تمام.. في موضوع مهم عايز آخد رأيك فيه
- ايه هو

- تعرفي إن أحمد ساب رحمة؟

قالت ريم متفاجئة:
- ايه ده! ليه؟

- بيقول إنه ظالمها معاه ومش عارف هيبقى جاهز امتى وفاقد الأمل في كل حاجة

- بس رحمة بتحبه أوي
- وهو بيعشقها.. وأنا بصراحة متضايق وعايزه يرجع عن اللي في دماغه، أنا حاسس بيه وعارف إنه بيتعذب

قالت ريم بحزن:
- ياحبيبي يا أحمد

فقال هواري مداعب ًا:
- يابخت أحمد.. ده الكلمة دي مابتتقاليش. وأكمل بجدية : المهم هنعمل ايه بقى؟

قالت ريم:
- عشان كده رحمة مش بتكلمني بقالها فترة

قال هواري متذكر ًا:
- أه صح مش أنت ِ معاك ِ رقمها وبتتكلموا!

- أه
- طيب كده حلو أوي كلميها قوليلها إنك عايزه تشوفيها قبل ما تسافر ونخليهم يتقابلوا أنا متأكد إنهم لو شافوا بعض هينسوا كل حاجة
- أه حلوة الفكرة دي.. هكلمها بكرة إن شاء الله عشان دلوقتي الوقت اتأخر

قال هواري:
- بس تكلميها أول ما تصحي عشان سفرها بعد بكرة
- ماشي

*****

ذهبت رحمة وبقية أسرتها إلى مجمع التحرير لكي يتسلموا شهادة التحركات فقد ترتب كل شيء وموعد السفر وذلك آخر مطلب لأوراق السفر بعد المعاناة وصلوا إلى شباك الموظف ليتسلموها قال الموظف:
- لسه معاد الإستلام مجاش الإستلام بعد ٣٠ يوم عمل

فقال شاهين:
- يعني ايه! لازم نستلمها احنا مرتبين مع السفارة ميعاد السفر.. واحنا قرأنا على موقع وزارة الداخلية إن الإستلام بعد ١٤ يوم كحد أقصى واحنا جينا بعد ١٨ يوم مش ١٤

قال الموظف غير مبال:
- روح اشتكينا للوزارة.. ووسع بقى للي بعدك يا أستاذ ماتعطلنيش

قالت صفاء:
- هنعمل ايه؟

قال شاهين:
- استنوا هنا وأنا هروح أشوف حد أكلمه وأشوف ايه اللي هيتم

قال ذلك وتركهم وتوجه إلى الطابق الثاني من المجمع حيث مكان مدير إدارة المراقبة، دخل شاهين وقص للضابط ماحدث وأنه تصفح موقع وزارة الداخلية للإستعلام عن شهادة التحركات وكان الموقع يقول أن التسليم خلال ١٤ يوما وأنه رتب مواعيد سفره على هذا الأساس فقال الضابط:
- ملناش علاقة بموقع الوزارة هي بتتسلم بعد ٣٠ يوم عمل.. وممكن كمان تتأخر عن كده

لم يعقب شاهين وترك الضابط وعاد إلى صفاء ورحمة وهدير قالت صفاء:
- ها عملت ايه؟

قال شاهين بانفعال:
- ماعملتش يلا على البيت مفيش سفر ولا زفت.

فاتسعت ابتسامة رحمة بينما قطب وجه صفاء وهدير

*****

فضلت أرن عليها كتير وموبايلها مغلق

قالتها ريم وهي تحدث هواري في الهاتف.

فقال هواري بضيق:
- يعني خلاص كده سافرت
- مش عارفة ..بس النهاردة الأربع وأنت قُلت ميعاد سفرها الخميس
- خلاص ابقي حاولي تاني يمكن تفتحه لازم يرجعوا لبعض قبل ماتسافر

*****

رجعت رحمة بيتها وهي لا تعرف أهي سعيدة بإلغاء السفر أم حزينة لذلك؟ فأعادت تشغيل هاتفها الذي كانت قد نفذت بطاريته وجدت ريم شقيقة أحمد قد حاولت الإتصال بها كثيرا وليس ذلك من طبيعتها، فظنت أن أحمد حدث له مكروه وعلى الفور هاتفتها، فتحت ريم المكالمة فقالت رحمة بلهفة:
- الو

قالت ريم:
- رحمة وحشتيني أوي

فهدأت ملامح رحمة واطمأنت أنه ليس هناك مايقلق، فقالت بحزن:
- وأنت ِكمان والله يا ريم
- طب ايه! مش هشوفك قبل ما تسافري
- لا خلاص مفيش سفر

قالت ريم بفرحة:
- بجد!! يعني خلاص مش هتسافري

قالت رحمة:
- أه والله.. بس أنا مبسوطة أوي إنك كلمتيني حتى بعد ما انتهت علاقتي أنا وأحمد
- أنا بكلمك عشان عايزاكي ترجعي لأحمد

قالت رحمة بحزن:
- أنا فرضت نفسي على أحمد كتير أوي.. وهو نفسه قالي ماتضغطيش عليا

قالت ريم:
- رحمة والله أحمد بيحبك أوي.. أنا مستخسرة حب جميل كده يضيع على الفاضي أنا كنت ممكن أكلم أحمد بس عايزاك ِأنت ِاللي تكلميه، انتوا متكلمتوش من فترة وأكيد وحشاه أوي ايه رأيك تيجي عندنا وتفاجئيه إنك ماسافرتيش

صمتت رحمة مفكرة فقالت ريم بحزن:
- عشان خاطري يا رحمة لو بتحبي أحمد بجد ماتضيعيهوش.. أنا نفسي أحمد يبقى فرحان ، أحمد تعب كتير أوي عشانا

قالت ذلك وبكت فبكت معها رحمة وقالت:
- والله يا ريم أنا بحبه أوي.. بس مش عارفة هو ليه بيعمل معايا كده والله ما اشتكيت أنا كنت مبسوطة بس هو اللي مصمم إن البعد أحسن
- هو معذور والله، شايل هموم كتيرة أوي.. بالله عليك ِ تعذريه
- والله عذراه وعارفة ظروفه

مسحت ريم دموعها وقالت:
- طب ايه رأيك تيجي يوم الجمعة عندنا عشان اجازته.. هو بيكون قاعد في النهار فوق السطح عند الغية ايه رأيك تفاجئيه إنك ماسافرتيش والله المجية دي هتفرق جدًا أنا متأكدة

مسحت رحمة دموعها هي الأخرى وقالت بفرحة:
- خلاص ماشي هبقى أكلمك يوم الجمعة توصفيلي المكان وأجي

*****

خرج أحمد وهواري من المسجد بعد انتهاء صلاة الجمعة عبثا في الأحذية حتى وجد هواري نعله وقال:
- شكل شبشبك اتسرق يا أبوكمال
- يعني ايه! ده لسه جديد
ضحك هواري قائلًا:
- ماهو أكيد يعني اتسرق عشان لسه جديد
أشار إلى نعله المهترئ وأكمل
- يعني الحرامي هيسرق شبشب زي ده مثلا

قال أحمد:
- إن شاء الله مايكونش اتسرق.. شكله تايه لما الناس تخرج بإذن الله هلاقيه.
ظل يبحث عن نعله بضيق حتى خرج جميع المصلين ولم يجد نعله، ظل هواري يضحك وقال:
- يابني قولتلك اتسرق من الأول ماصدقتنيش

ضحك أحمد بوهن وقال:
- طب هروح ازاي كده بقى!

قال هواري وهو ما زال يضحك:
- خد شبشب من الحمام بقى وخلاص.. فاكر لما شبشبي اتسرق وقعدت تضحك عليا البس بقى ياسطى

أخذ أحمد نعلا من دورة مياة المسجد كان نعلا بلاستيكيا وصغير ًا على قدمه، مشى جوار هواري الذي ظل يضحك حتى وصل أحمد إلى بيته وقال:
- ماتيجي

قال هواري:
- لا أنا هروح ونبقى نتقابل على القهوة بالليل بقى

*****

صعد أحمد عند الغية وفتح الشبكة ووضع إصبعيه في فمه وظل يصفر حتى طار الحمام، لم يستطع النظر إليه كثير ًا من حرارة الشمس فتفقد الحمام الآخر الذي يرقد على البيض وذهب إلى الحمامة التي يطلق عليها اسم رومة وجلس جوارها كانت ترقد على البيض نظر لها وقال:
- رحمة سافرت امبارح خلاص ياروما.. كان نفسي تشوفك وتعرف إني مسميك ِ على اسمها. ضحك وأكمل : أصلها كانت غيرانة منك وعايزاني أجيب دكر للدكر. سقطت دمعه من عينيه على قميصة فقال دامع ًا:
- مش عارف أنا بكلمك ليه كأنك إنسان.. أنا نفسي مستغربني بس أصلي مش عارف أنا كده ضيعتها ولا عملت الصح

أدارت الحمامة رأسها للناحية الأخرى فهز رأسه بأسف قائلًا:
- ضيعتها صح؟

صمت قليلا ثم أكمل:
- طب أنا ندمت أعمل ايه بقى؟ وهي خلاص سافرت. ضحك بوهن وقال

- أنا عبيط عشان بكلمك أصلا.. في حد يكلم حمامة بايضة

- ولو مش بايضة تبقى عادي تكلمها يعني؟

أتاه ذلك الصوت من خلفه ظن أنه يتهيأ له صوت رحمة، فكان أبعد مافي خياله أن تأتي رحمة له إلى هنا، خاصة أنه يظن أنها قد سافرت، كما أنها لا تعرف عنوان بيته من الأساس، نظر خلفه وجد رحمة وريم فأغمض عينيه وفتحها ثانية باستغراب واتسعت ابتسامته وقال بدهشة:
- رحمة! أنت ِ مش ميعاد سفرك كان امبارح؟!

قالت رحمة مبتسمة:
- اتلغى

فابتسمت ريم وثنت أصابعها وأشارت لهم بإبهاميها وتركتهم وغادرت

فقالت رحمة مداعبة:
- بتكلم الحمامة!

ضحك أحمد وقال:
- عادي مافي ناس بتكلم البحر والنيل ده الجديد بقى.. سمعتي إني ندمت والكلام ده!

ابتسمت رحمة وأومأت برأسها إيجابا وقالت:
- وكمان عرفت إن اسمها روما
- ده أنت ِ هنا من زمان بقى..
قال ذلك وأكمل مبتسمًا:
- والله لو مرتبينها مش هتبقى مظبوطة كده.. وفرت عليا كتير أوي الحمامة دي

قالت رحمة:
- بس ماوفرتش عليا أنا

اتجهت رحمة نحو الحمامة وقالت:
- بصي ياروما أنا بحب واحد اتقابلنا أنا وهو في ظروف وصدف غريبة جمعتنا ببعض، حبيته أوي عمري ما كنت أتخيل إني هحب للدرجة دي هو طيب جد ًا وجدع أوي وابن بلد، أي نعم ساعات بيتعصب عليا، بس أنا عذراه وعندي استعداد أستناه لحد ما شعري يبيض وأسناني تقع، بس نفسي يفهم كده ويشيل أي أوهام من دماغه.

نظرت رحمة إلى أحمد وقالت:
- تفتكر إزاي أخليه يشيل الأوهام دي من دماغه!

ابتسم أحمد قائلًا:
- وديه للحلاق وهو هيظبطه.

ضحكت رحمة وأثناء ضحكها رأت نعله الذي أخذه من المسجد بدل ًا من الذي سرق وجدها أحمد تنظر إلى قدمه فحرك أصابعه وقال:
- والله مش شبشبي ده شبشبي اتسرق وأنا بصلي خدت ده من الحمامات

قال ذلك وضحك الاثنان، فقالت رحمة:
- تعرف أصدق بيت شعر اتقال عن مصر قاله المتنبي وأكملت:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

*****

تمت بحمدالله